روايات عبير

٤٥٢

ثمن نظرة الحب

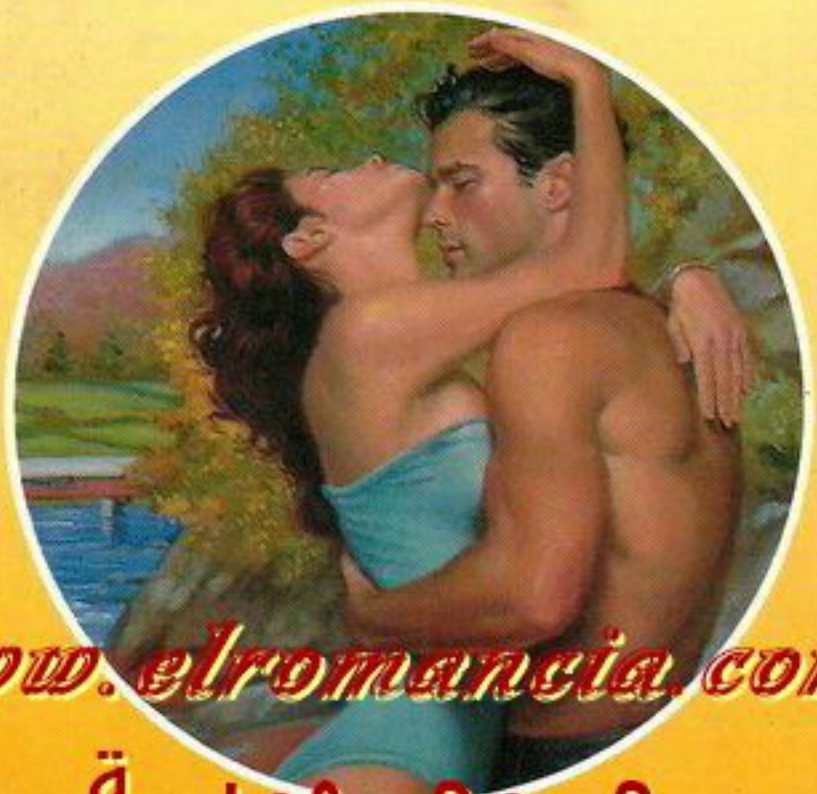

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

روايات عبير

No: 452

أحست "ديبي" بغصة في حلقها . سألها "سوني" .

- هل تتمسكين حقا بما حدث اليوم ؟

سألته بدورها :

- وأنت يا "سوني" ؟

- لا .

لم تكن تعرف ماذا يريد ، ولكن على الأقل هناك شيء تعرفه وتريد أن تقوله له:

- إنني لا أقبل أن أكون أسيرة أحد ولا أن أجبر على عمل شيء رغما عني !

قال بصوت جاد جدا :

- لقد فهمت هذا . ويمكنك أن تدافعي عن نفسك وتصرخي ما شاء لك من صراخ في كل مرة تحسين فيها أنني أفعل ذلك .

www.elromancia.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

الغلاف الأمامي

بعد زواج قصير لمدة ستة أشهر طلقت "ديبي" من حبيبها بطل لعبة "الروديو". وهي رياضة عنيفة يمارسها رعاة البقر في أمريكا. وفيها يحاول الفارس البقاء أكبر وقت ممكن فوق ظهر ثور متوحش ضخم، ولم يفلح الزواج لصغر سنها حيث كانت في الثامنة عشرة من عمرها، وتذهب للمدينة حيث تجد عملا بسيطا لتكمل دراستها في الجامعة.

فور انتهاء الدراسة تفاجأ بموت والدها وتكتشف أن المزرعة التي يملكها مكبلة بالديون ومرهونة للبنك. فتضطر للعمل ساقية في مقهى حتى يمكنها سداد ديون المزرعة ومواجهة مطالب الحياة.

تفاجأ "ديبي" بعد ثمانية أعوام بمقابلة زوجها السابق في المقهى الذي تعمل فيه وهو في حالة تعب شديد، ويحاول صاحب المقهى - وهو عدو له من أيام الدراسة - أن يسرقه منتهزا حالته. ولكنها تتدخل وتحدث معركة يصرع فيها بطل "الروديو" صاحب المقهى بلكمة تفقده

وعيه. وتهرب "ديبي" بزوجها السابق خوفا على حياته بعد أن فقدت عملها وما لها من نقود عند صاحب المقهى. تصحبه بالسيارة إلى مزرعته. تتوالى المصائب على رأسها عندما تصطدم سيارتها التي تركتها خارج منزل زوجها السابق بجدار فتتحطم. وتضطر أخيرا لقبول العمل طاهية في المزرعة. وتتوالى الأحداث والمشاكل في سلسلة من المواقف والمفاجآت.

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

"ديبي ستون" : شابة يتيمة الأبوين تعمل ساقية في مقهي بعد انتهاء دراستها الجامعية وطلاقها .

"سوني بيرتون" : بطل مباريات "روديو" وزوج "ديبي" السابق.

"هانك تيرنر" : صاحب المقهى الذي تعمل به "ديبي" .

"دستي بيرتون" : والد "سوني" .

الفصل الأول

تابع "هانك تيرنر" راعي البقر الجالس في نهاية المقهى و "ديبي" لاحظته بضع دقائق ولكن الدم تجمد في عروقها عندما رأت صاحب "لون ستار" يتخشب وراء مائدة الحساب ومنشفة التنظيف في يده ويلقي على راعي البقر نظرة صاعقة .

أدارت عينيها نحو الرجل بدورها وقالت في نفسها :

إنه كان عليها أن تتوقع هذا اللقاء الذي لامفر منه .

إنها ستلتقي به إن عاجلا أو آجلا في مدينة مثل هذه المدينة .

كان قد أزاح قبعته إلى أقصى حد خلف رأسه وكان يتأرجح على مقعده العالي وثبت قبعته أفقيا وهو يمسح المقهى بعينيه ويزمجر في رضا . رفع زجاجة الشراب المنعش عاليا وهي فارغة ليطلب أخرى .

فكرت "ديبي" أنه "سوني بيرتون" بطل "الروديو" السابق ، ذو الشهرة المحلية . واجتاحتها رعدة تماما مثلما حدث عندما رآته يدخل (البوفيه)

www.elromancia.com

وسادت يديها رجفة خفيفة . إنه اليوم لايزال يمارس عليها نفس السحر السابق . ماذا يظنها بحق السماء ؟ خفضت عينيها وتنهدت .

إنه لم يتغير . نظرت إليه في تردد . طوله مائة وثمانون سنتيمترا، ذو كتفين عريضتين لابد أنه حصل عليهما عن طريق التمرينات البدنية. وبعض القسوة في تقاطيع وجهه تناسب أنفه المتعجرف المعقوف وذقنه الذي يدل على روح المغامرة .

كانت الشمس قد لوحت بشرته بينما كان تعبير نظراته قاسيا أكثر مما تتذكر عنه . وله دائما هذا الفم الرائع الذي طالما أحبته . همهمت في نفسها - وهي تراقبه - يحاول أن يرفع رأسه بتماسك "رائع" !

لقد دخل البوفيه من ساعة مع خمسة من زملائه: امراتين وثلاثة رجال . وقد تجمع الفريق الصاخب حول المائدة الصغيرة و"سوني" يحتضن شقراء صغيرة متبهرجة في زينتها .

كان الذهاب إلى هذه المائدة من أصعب الأمور على "ديبي" . كانت تعلم أن "هانك" سيسعد عندما يرى "سوني بيرتون" يشترك في منظر زوجته السابقة وهي تخدم في بوفيه المقهى . ولكنها في حاجة إلى هذا العمل ولم تتردد لحظة في الانضمام إلى الفريق الصغير .

رفع "سوني" عينيه ورات مجموعة من التعبيرات على وجهه . انزلقت نراعه في البداية من فوق كتف الشقراء المتبهرجة ثم عاد وضمها بشدة كنوع من التحدي .

ساد صمت طويل اخذ فيه يتاملها في سرور ثم قال أخيرا بلهجة ممطوطة بينما يده تلعب بخصلة من شعر الشقراء :

- انظروا إذن من في المدينة !

طلب بعد ذلك شراب التفاح بطريقة طبيعية وكانهما لم يلتقيا من قبل وكان شيئا لم يكن بينهما .

احمر وجهها حتى أصبح قانيا ودارت على عقبيها ثم قدمت له ماطلبه .

لم تكن تعرف أصدقاءه ولكنهم لن يتوانوا عن تركه في سبيل صيد ثمين بما فيه الشقراء ليلعبوا الورق . وتركوه بمفرده امام المائدة يحتسي الزجاجة تلو الأخرى ويتاملها بعين سوداء وهي تؤدي عملها .

كان المقهى سيغلق أبوابه خلال عشر دقائق وبدات القاعة تخلو بينما الصندوق الموسيقي يلعب لحنا من "ويلي نيلسون" وادركت "ديبي" أنها لم يسبق لها أن رأت "سوني" يحتسي سوى كاس أو اثنتين من شراب التفاح المنعش . ولكن كل هذه الكمية التي احتساها خلال هذه الأمسية جعلتها تشعر بعدم الارتياح. أحضرت له الكاس العاشرة التي طلبها ورأته يخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية وهو متجهم :

- هل أخبرت أحدا يا "سوني" أنك ستاتي إلى هنا ؟

اقصد هل سيحضر أحد لأخذك من هنا ؟

عندما سالته هذه الأسئلة أحست بالدهشة عندما نطقت اسمه . همهم بابتسامة صبيانية أضاءت وجهه وهو ينحني نحوها ويلقي نظرة جريئة على ساقيها .

- لم أخبر أحدا .

كان الجينز الذي ترتديه رجراجا فوقه قميص مكسيكي ربطته حول وسطها . وظل يحملق فيها وهو تائه .

فكر أن هذا الجسد لايزال - كما هو- مالوفا لديه بعد سبع سنوات طويلة مرت . ولا تزال لها عينا القط اللتين تلمعان في الظلام ونفس الشعر الأشقر المنسدل على كتفيها . هل تعرف إلى أي مدى ذكراها حاضرة في ذهنه ؟ إنها تسبب له الاضطراب بطريقة لم تسببه له امراة من قبل . نظرت إليه "ديبي" في هذه اللحظة نظرة امتعاض . كم بدا

www.elromancia.com

الأمر غريبا عليه إلى أقصى درجة. إنها تلومه على عدم تمالكه لنفسه ، ولكن هل تعلم أنها السبب فيما حدث له ؟ قال وهو يلقي برأسه إلى الخلف ويبتسم لها ابتسامة غامضة :

- ليست لدي رغبة في العودة .. أريد أن نتحدث ..

ماذا تفعلين هنا ؟

- هذا ليس شأنك يا "سوني"!

قطب حاجبيه وسألها متظاهرا بالغضب :

- هل تنوين أن تظلي في هذه الناحية ؟

قالت وهي تدير له ظهرها متجهة نحو البوفيه :

- من الأفضل أن نتحدث في هذا مرة أخرى .

دفع قبعته بسبابته للخلف وقال بلهجة أهل "تكساس" .

- إن شعرك له أنقى لون رأيته في حياتي يا "ديبي". تعثرت "ديبي" تحت تأثير عواطفها ثم تذكرت أنه ليس في وعيه . تساءلت: كيف سيكون حاله لو حاول الوقوف ؟ صاح مكملا :

- هاي ! ما رأيك في أن تصحبيني إلى بيتي ؟

- مستحيل !

كز على أسنانه ثم هز كتفيه :

- حسنا .. ربما كان عليك أن تستدعي لي سيارة أجرة ولدي مايمكنني من دفع أجرة المشوار .

لوح بورقة مالية فئة مائة دولار فوق رأسه ورأت أخرى مكرمشة في يده الأخرى . قال مكملا :

- لابد أن أعود .

وافقت "ديبي" وهي تزفر في ضيق :

- حسنا . سأستدعي لك سيارة أجرة .

قالت لصاحب مقهى "لون ستار" :

- إنه ليس في حاله تسمح له بالقيادة يا "هانك" .

قال "هانك" بغيظ وهو يحشر جسمه الضخم خلف البوفيه:

- هذه ليست مشكلتي وليست مشكلتك أيضا ولكنه سيخرج .. لاشك في ذلك . هل حاسبته على آخر كأس ؟

- لديك نقوده من مائة الدولار .

لمع وميض غريب في نظرات "هانك" وأحست بعدم الارتياح . كانت تعلم من زمن بعيد أن هناك خلافا قديما بينه وبين "سوني" ولكن أيا منهما من يفصح عن طبيعة هذا الخلاف ؟ رسم "هانك" ابتسامة معسولة ثم أعلن وهو يمسك بالورقة المالية الأولى ويدسها في جيبه ثم ينزع الثانية منه :

- في الحقيقة .. أعتقد أن لدي المال الذي تطلبينه أمرته "ديبي":

- أعده له يا "هانك" .

رد عليها وهو ينظر إليها نظرة عدوانية :

- أعيد ماذا ؟ لست أدري عن أي شيء تتحدثين أيتها الصغيرة التافهة ، ولكني أعتقد أن الوقت حان كي تعودي بهدوء إلى بيتك . أنا وصديقي القديم ستجري محادثة بيننا ... وسنخرج لاستنشاق الهواء معا :

- لا جدال في أنني لن أتركك معه يا "هانك" ، والآن رد إليه نقوده !

رفعت الصينية مهددة فصاح فجأة وهو يتجهم ويضرب الهواء بالمنشفة:

- خبريني إذن ما الذي جرى لك ؟ أتعتقدين أنني سأقبل أوامر من خادمة مثلك ؟

أمسك بذراعها وهزها بقوة حتى إنها ارتجفت وحاولت أن تخلص

www.elromancia.com

نفسها بعنف : قال لها :

- إنك لم تعودي تسمين "بيرتون" الآن .

نظرت إليه نظرة كراهية :

- اتركني !

ولكنه بدلا من ذلك شدد من قبضته بينما هي تتلوى محاولة الهروب . قال لها :

- لم يكن من الواجب علي أن أمنحك هذا العمل أبدا وعليك أن تخرجي من هذا الموضوع .

صرخت "ديبي" .

- اتركني . إنك تؤلمني .

نهض "سوني" وهو يتطوح عندما سمع صراخ "ديبي" ودهش لأنه لم يكن في حالته الطبيعية . صاح :

- هاي ! أيها البدين !

ابتسم "هانك" ابتسامة مغتصبة وترك ذراع "ديبي" ثم استدار وسأل "هانك" وهو يوجه له لكمة غير متوقعة .

- هل تريد شيئا يا "بيرتون" ؟

تلقى سوني اللكمة وتراجع متعثرا . هز رأسه ليستعيد وعيه وضم قبضته ووجه لكمة مباشرة إلى وجه "هانك" الذي سقط على الأرض كالزكيبة .

صاحت "ديبي" وهي تسقط الصينية :

- أوه ! يا إلهي !

ركعت بجوار الجسد الذي يتاوه والوجه المتورم .

- هل كان من الضروري أن تعملها ! لا تقل لي : إنك على الأقل لم تقتله ! إنه لم يمت .. أليس كذلك ؟

في هذه اللحظة رأت وهي تشعر بالارتياح أن صاحب مقهى "لون ستار" يحاول أن ينهض في محاولة أخيرة قبل أن يسقط ثانية كما فعل في المرة الأولى .

رفعت عينيها نحو "سوني" الذي يحاول في صعوبة أن يجلس على المقعد . صاحت :

- لا .. لايمكن أن تجلس الآن !

أمسكته من ذراعه ووضعته حول كتفيها وساعدته على أن يظل واقفا . قالت له في خوف وهي تتجه نحو باب الخروج .

- لابد أن نرحل من هنا بأسرع مايمكن ولأبعد مكان .

وقفت في منتصف الطريق وأعلنت .

- انتظر لحظة .

ساعدته على الاستناد على مائدة وقالت له :

- لاتتحرك من هنا !

كانت تريد استعادة ورقتي مائتي الدولار اللتين دسهما "هانك" في جيبه ولكنها تراجعت عندما رأته يتاوه ويتحرك محاولا الوقوف مرة أخرى . قررت في الحال أن مائتي الدولار لن يهما أحدا خاصة "سوني" ولا تستحق أن تتكسر عظامها بسببها فعادت إلى "سوني" وأمسكت بحزامه وقادته إلى الخارج .

كانت هناك سيارة في ساحة الانتظار .. إنها سيارة "ديبي" القديمة الوردية اللون . كان قلبها يدق حتى يوشك أن ينفجر ، ويداها ترتجفان بينما تساعد "سوني" على الجلوس في المقعد الأمامي . أغلقت باب السيارة ودارت حولها وجلست خلف عجلة القيادة . خرج "هانك" في نفس اللحظة وفي يده مضرب "بيسبول" لم يكن هناك أي شخص أو سيارة في ساحة الانتظار .

www.elromancia.com

أخذت "ديبي" تتوسل إلى سيارتها :

- هيا سيري ياصغيرتي ! أرجوك لا تخونيني .

خفضت نفسها على مقعدها وكما كانت تفعل في كل مرة عندما لا يعمل المحرك، أوصلت سلكين بدلا من "الكونتاكت" . ظهرت شرارة ودار المحرك . وضعت عصا السرعة على الأول وانطلقت إلى الطريق وهي تهمهم كالمخبولة : شكرا .. شكرا .. شكرا .

ألقت نظرة على المرآة العاكسة ورأت "هانك" يلوح - في غضب- عصا البيسبول ويسب ويلعن سبابا لاتسمعه .

أطلقت زفرة ارتياح واسترخت في مقعدها .

بعد عدة كيلو مترات انتبهت إلى ضجة بجوارها ضجة مميزة بين الضجيج . كان "سوني" قد عقد ذراعيه فوق صدره والقبعة فوق رأسه وانطلق في الشخير . ضغطت يديها على عجلة القيادة وركزت على الطريق تحاول أن تهدئ من ذهنها المشغول .

###

بينما دخلت "ديبي" بالسيارة في الطريق المؤدي إلى أملاك "بيرتون" حاولت أن تنسى - دون جدوى - الأحداث الأخيرة . لقد نسيت وسط هذا الجنون كل ماحصلت عليه من هبات وخزان الوقود الآن على وشك الفراغ وليس لديها أي سنت كل ذلك لأنها حاولت ألا يسرق أحدهم بعض الدولارات من زوجها السابق . أضاء كشافا السيارة الحظائر التي كانت على مسافة بعيدة من المبنى الواسع المكون من طابقين حيث أضيء على عتبته مصباح صغير لايكاد يظهر وسط العتمة .

تساءلت "ديبي": وماذا الآن ؟ وقفت بالسيارة وأدارت رأسها نحو الرجل النائم بجوارها . كانت لحيته قد بدأت تظهر دليلا على أنه لم يحلقها من يومين بينما رأسه مسنود بزاوية غير مريحة ورغم ذلك بدا

كان شيئا لايزعجه في نعاسه . رغبت لحظة أن تبعد قبعته حتى تتامل وجهه إلا أنه في تلك اللحظة تحرك بعصبية وزمجر بصوت مكتوم . تراجعت في الحال على مقعدها ونظرت إلى الزجاج الأمامي في تردد ثم أدارت وجهها ببطء نحوه . إنها تستطيع الآن أن ترى عينيه المغمضتين وتتامل وجهه فترة طويلة ثم تنهدت وقالت في نفسها :

- أنت حمقاء كبرى يا "ديبي ستون" .

قررت أخيرا أن تخرج من السيارة وتذهب لفتح الباب المجاور للراكب. صاحت :

- انهض يا "سوني" فليست لدي نية أن أسحب جسد راعي بقر بمفردي إلى الداخل .. أنت ثقيل جدا ..

حاولت مساعدته على الوقوف مستقيما وضبطت قبعته فوق رأسه . حاول أن يبقى عينيه مفتوحتين وهو ينظر إليها غير مصدق. ثم رمش بعينيه وعاد إلى النوم مرة أخرى . ألحت وهي تضرب قدمه .

- هيا .. استيقظ الآن .

لم يحدث شيء ظلت لحظة تتامله وهي عاجزة تماما عن التصرف وتامل لو أنها لم تره ، همهمت :

حسنا ! هذا هو الصيد السعيد : راعي بقر والآن لم يبق سوى الطريقة القديمة .

أخذت "ديبي" نفسا عميقا ورفعت يدها اليمنى وصفعته على خده .. ولكن الصفعة لم يكن لها أي تاثير ولم يفتح "سوني" عينيه. ظلت واقفه بجوار السيارة وهي لازالت مصدومة وحاولت أن تبدو رزينة هجمت عليه وقبضت على سترته بيديها وهي تنظر إليه نظرة سوداء ولكنها لم تره يطرف بعينه وهو في حالة يرثى لها . اختفى غضبها وكراهيتها في الحال بفعل السحر وحل محلهما لمسة حنان . وحاولت أن تهزه

برقة من سترته وتقول له :

- هيا يا "سوني" الصغير. هل يمكنك أن تسير ؟

ساعدته على التماسك وإن أحست بالاضطراب من قربها الشديد منه .

هز "سوني" رأسه ليستعيد وعيه وإن بدا الموضوع غير مفهوم عنده . بل لم يستطع أن يجعل نظراته ثابتة . سمع نفسه يقول :

- هل يمكنني أن أجلس دقيقة ؟ هل أنا في بيتي ؟

كان يبدو عليه أنه يتعرف على البيت بصعوبة .

أجابته :

- نعم .

- حسنا .

بدأ يسير ببطء بخطوات مترنحة تتبعه "ديبي" عن قرب . دار حول البيت ومر على حوض السباحة واتجه إلى مبنى صغير لم يكن موجودا عندما تزوجا . فكرت "ديبي" أنها قضت وقتا لا بأس به في مزرعة "بيرتون".

صعد "بيرتون" درج الفناء واستند على باب الدخول .

- هل يمكن أن تفتحي هذا الباب ؟

كان على "ديبي" أن تمر من تحت ذراعه حتى تصل إلى أكرة الباب . كانت تفوح منه رائحة الشراب والعرق وأغلقت عينيها لتمنع تدفق الذكريات . أسند ذراعه على رقبتها ودخلت معه بعد أن انفتح الباب .

تعجبت وهي تلقي نظرة حولها . إن المكان مريح وفاخر الديكور ويغلب عليه اللونان البيج والعاجي . وفي نهاية الحجرة يوجد سلم حلزوني بدرابزين من خشب الورد . وكانت الدرجات ضيقة ومغطاة بسجاد سميك مزين بوحدات ورد مكررة ، سالته :

- أين ؟

رفع عينيه نحو أعلى السلم وهو يزمجر شاكيا :

- حسنا .. هيا بنا إلى هناك .

ساعدته على صعود الدرج حتى الدور العلوي وهي تسند ظهره وقادته إلى حجرته . كانت الحجرة مظلمة ولكنه توجه بالغريزة نحو سريره حيث جلس بثقله .

القت "ديبي" نظرة حولها وهي تتناول قبعته التي تدحرجت على الأرض .. همهم :

- الحذاء ذو الرقبة !

قالت "ديبي" في نفسها كيف يجرؤ على أن يحدثها بهذه الطريقة. وقفت وقد وضعت يديها في وسطها قال لها وهو يبتسم لها ابتسامة تحد :

- ماذا تنتظرين يا عزيزتي ؟

تجهمت ونظرت له نظرة سوداء . هل يعرف أي عزيزة يوجه لها الحديث ؟ سألها بصوت لزج :

- "ديبي" ! هل هذا أنت ؟ ساعديني على خلع حذائي يا عزيزتي!

ترددت ثم اقتربت منه. زفرت وهي تأخذ الوضع الذي يسمح لها بخلع حذائه ذي الرقبة .

كان فكه يؤلمه . أما هي فكان كل ماتتمناه أن تستلقي على الأريكة الخلفية لسيارتها وتنام بضع ساعات ...

سيكون أمامها الوقت الكافي بعد ذلك لتقلق على المال اللازم لشراء وقود السيارة وعمل جديد وأن يدفع لها "هانك" مستحقاتها. وفي حالة الضرورة فلا يزال لها بعض المال القليل في حصالة عند والدها .

انخلعت الفردة الأولى بسهولة وعندما استعدت لخلع الثانية وجذبتها ، وجدت نفسها تقع على ظهرها بجواره وفي يدها فردة

www.elromancia.com

الحذاء . افلتت من حلقها صرخة صغيرة وهي ترى "سوني" ينظر إليها وعيناه تائهتان . القت فردة الحذاء وتقلب "سوني" مما جعله يحاصرها وذراعه فوق عنقها . احست بالرعب وبغصة في حلقها وصاحت :

- لا ...

همس :

- أوه يا صغيرتي ... إنني سعيد معك للغاية .

ارتجفت "ديبي" وهي تحاول ان تتخلص منه .

- لا يا "سوني" . كف !

ابتسم وهو يربت على شعرها .

ارتجفت وتساءلت: هل هو مدرك ما يفعله؟ اغلقت عينيها وهي تتساءل: لماذا لا تحاول ان تمنعه ؟

فجاة ارتخت ذراعاه وارتمت بجوار جسده ثم سكنت حركته .

ادارت راسها نحوه وفهمت انه استغرق في النوم . كانت انفاسه عميقة وهادئة .

قالت في نفسها وهي تضحك :

- حسنا .. إنه دائما مايستغرق في نوم عميق .

انتظرت حتى استرخت كل عضلاته وانتهزت الفرصة لتنسحب من جانبه . إنها لا تصدق ماحدث .

الفصل الثاني

تكومت "ديبي" بعد ربع ساعة على الأريكة الخلفية لسيارتها واخذت تدلك خديها وهي تتساءل : ماذا ستقول لـ"سوني" في الصباح ؟ وهل سيتذكر ماجرى ؟

لفت نفسها في غطاء السيارة الذي وجدته في الحقيبة الخلفية ونظرت في أسف إلى سقف السيارة الممزق . لقد نسيت إلى اي حد أحست بانها وحيدة إلى اللحظة التي لمسها فيها . لم يسبق لها أن كان رد فعلها مثلما حدث .. إلا معه . سرت في جسدها رعدة لذيذة وهي تتذكر "سوني" في سن السابعة عشرة وكان وقتها أصغر منها والفتيات يطاردنه . وكانت مزرعة "بيرتون" واحدة من اكبر مزارع المنطقة ويمثل "سوني" جزءا مهما منها .

في كل أحد كان يجلس بفخر فوق اريكة الكنيسة محاطا بالأب والأم والأخوين "توم" وبن" اللذين كانا يرتديان مثله دائما قميصين ابيضين

www.elromancia.com

بياقات عريضة .

وكان الصبية دائما ينظرون للأمام في تركيز ولكن دائما كانت هناك لحظات لم ينتبهوا فيها إلى الموعظة الدينية ويحولون رؤوسهم حولهم.

في تلك الفترة لم تكن "ديبي" محور انتباهه بينما كان يبحث بطرف عينه عن الحسناء "بيكي تيمز" ذات العينين اللتين تشبهان عيون المها . بينما "بيكي" كانت تتظاهر بالانهماك في التراتيل لدرجة توشك على الإغماء وتصورت "ديبي" أن "سوني" لم يكن يلاحظها على الإطلاق فقد كانت صبية ضئيلة ذات عينين واسعتين زرقاوين وضفيرتاها غير المتساويتين ونظراتها السقيمة .

ومع ذلك لاحظها يوما ما .

لقد كان بالنسبة لها بطل الرواية الذي جاء خصيصا للحياة من أجلها والشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفهمها . ومن تلك اللحظة لم يكن لها هدف في الحياة سوى إسعاده . ولكن ذلك كان من وقت طويل جدا .

نامت وقد امتلأ قلبها بالرغبات الثقيلة التي لم تتحقق .

###

كان أول مارآته "ديبي" في الصباح هو امرأة بدينة متوسطة العمر ذات وجهه مغطى بالبقع الحمراء وشعر نحاسي تنظر إليها خلال نافذة السيارة . قالت المرأة بصوت أخنف يميز نساء "تكساس" .

- لست أدري .. ولكني لوقضيت الليلة مثلك هكذا لاحتجت إلى قدح كبير من القهوة .

وجهت لها ابتسامة ثم أضافت قائلة :

- أنا اسمي "هالي" .

كانت "ديبي" قد اعتدلت على الأريكة وأعادت النظام إلى شعرها

وطرفت بعينيها محاولة التركيز . سالت المرأة وهي تخفض زجاج النافذة .

- هل قلت شيئا حول القهوة ؟

قالت "هالي" مقترحة وهي تتجه نحو البيت الكبير .

- اتبعيني .

كان ذقنها يؤلمها وأعضاؤها كلها وأخذت تبحث بقدمها عن الحذاء ثم خرجت من السيارة إلى باب الخدم بعد أن تبعت "هالي" دون أن تهتم بمظهرها حيث دخلت مطبخا واسعا مضيئا . أشارت لها "هالي" إلى باب آخر يؤدي إلى الدهليز .

- هناك مناشف نظيفة في الداخل يا شابة .

شكرتها "ديبي" بابتسامة .

بعد أن خرجت وقد غسلت وجهها وأسنانها بالفرشاة أعدت "هالي" بيضا مقليا في طاسة .

قالت "ديبي" وهي تبتسم في خجل عندما قدمت المرأة البيض :

- شكرا لقد أحسنت إعداده .

أضافت "هالي" قبل أن تأكل نصيبها من البيض .

- القهوة على المائدة .

أخذت "ديبي" مكانها أمام المائدة الكبيرة المصنوعة من خشب البلوط والموضوعة وسط المطبخ وصبت لنفسها قدحا من القهوة بينما جلست "هالي" بعد أن أحضرت البيض المقلي إلى جوارها قالت :

- أنت ابنة "بيل ستون" إذا لم أكن مخطئة ؟

وكنت متزوجة من سوني .. أليس كذلك ؟

- أنا اسمي "ديبي" هل كنت تعرفين أبي ؟

قالت "هالي" وهي تدير الملعقة بقوة في القهوة :

- قليلا .

كان من الواضح أن "هالي" من النوع من النساء التي لاتفعل أي شيء بحماس . أضافت المراة :

- لقد تقابلنا في "فروج ليك" من زمن بعيد . لقد كان يحب صيد السمك وأنا كذلك . وقد أسفت بسبب الحادثة .

أدارت "ديبي" عينيها نحو النافذة والتلال المحيطة وهي تحاول أن تبدو غير مبالية . لقد تركها والدها من شهر ومن المؤلم أن تفكر فيه . لم يمر وقت طويل عندما كان "بيل ستون" حيا يتنفس وبصحة جيدة ولم يكونا يلتقيان كثيرا ورغم الخلافات بينهما إلا أنها كانت تعلم أنه يحبها .

كانت قد تلقت مكالمة تليفونية من مامور القسم في المنطقة كان والدها قد سقط من فوق مخزن الغلال ودق عنقه .

تركت "ديبي" عملها في الجامعة وعادت باسرع ما يمكن إلى البيت . كانت قد تحدثت مع الشرطة التي انهت التحقيق في الحادثة وعندما فتشت بين أوراق والدها اكتشفت أن المزرعة لم تكن تجلب له شيئا ولم يعد لها سوى القليل من المدخرات بل إنه رهن ممتلكاته .

أعاد صوت "هالي" المليء بالحرارة "ديبي" فجاة إلى الواقع .

- لقد كان "بيل ستون" رجلا طيبا .

أجابت "ديبي" وهي تبتسم شاكرة لها لطفها .

- نعم .. رجل طيب .

دخل "سوني" المطبخ في هذه اللحظة . كان شعره مشعثا وحافي القدمين ومرتديا "جينز" من الليلة الماضية و"تي شيرت" من القطن الأبيض . بدا كانه خارج من معركة . وأحست "ديبي" بالدماء تصعد إلى خديها .

أسندت "هالي" ظهرها للخلف حتى تتامله جيدا وقالت :

- لقد نهضت متاخرا .. يا إلهي ! ولكن عينيك متورمتان وهل المخلوق الآخر يبدو في جمالك ؟

مرر "سوني" يده على شعره بحركة عصبية وسلك حلقه ثم اقترب ليصب لنفسه القهوة وعندما رفع القدح إلى فمه شاهد ذقن "ديبي" المتورم واخذ يتاملها في فضول . ثم سال "هالي" .

- من الذي فعل بها هذا ؟

اجابت "هالي" وهي تبتسم :

- يبدو انك نسيت كل شيء .. الا تتذكر على الأقل انها هي التي أحضرتك إلى هنا ليلة أمس .

تدخلت "ديبي" وهي تنظر إليه بوقاحة :

- افهم تماما انك لا تتذكر ذلك على الإطلاق .

- إنني أتذكر .. الوجه .

دفعت "ديبي" مقعدها للخلف ونهضت وهي ترفع للخلف خصلة متمردة من شعرها وقالت :

- شكرا يا "هالي" .. لقد كان الطعام لذيذا وإذا لم يضايقك فإنني أود أن أحدث "سوني" على انفراد .

قالت "هالي" وهي تنهض بدورها :

- طبعا .. ساكون في الدور العلوي إذا رغبت في شيء .

جلس "سوني" على المقعد الذي كانت "هالي" تحتله ومد ساقيه أمامه . كان في حاجة إلى الحلاقة والدوائر الداكنة المتورمة حول عينيه وعلى خده قد تحولت إلى اللون البنفسجي . بعد فترة صمت طويلة غامرت بالقول :

- انا في حاجة لأن تقرضني خمسة دولارات .

رد عليها بنظرة غامضة .

- اذكر انني دفعت الحساب أمس أم هل فقدت القدرة على تمييز ورقتين بمائتي دولار ؟ أم أن ما قدمته لي يساوي أكثر من ذلك ؟

- كانت تفضل لو انه صفعها بدلا من هذا . احست بالغضب يصعد داخلها وندمت على أن "هانك" لم يلكم عينه الثانية . اعلنت وهي تحاول الاحتفاظ بهدوئها .

- إن "هانك" هو الذي استولى على نقودك .

- في هذه الحالة لماذا لاتطلبين من "هانك" خمسة الدولارات ؟

لقد أصاب الهدف مرة أخرى . أصبح خدا "ديبي" بلون أحمر قان . وانفجرت في غضب عاصف .

- أيها القذر .. إنك دائما ما تفكر في الأمور القذرة وهذه طبيعتك دائما . الا تذكر ما حدث في الليلة الماضية ؟ طبعا فقدت مائتي دولار ودائما انا المتهمة .. لماذا لا تفصح عما تفكر فيه ؟ ولتعلم أيها الراعي الحقير انني لم أكن لأفكر فيك ولو مقابل الفي دولار ثم إنه لايهمني رأيك في . لقد فقدت عملي بالأمس وانا أحاول أن انزعك من بين مخالب "هانك" وعرفت الآن انه كان علي أن اتركه ينتزع منك اخر سنت معك .

ابتلعت مهانتها ودارت على عقبيها ودون أن تضيف كلمة واحدة خرجت من المطبخ .

اثناء مرورها بالمدخل لاحظت أن الجدران مغطاة بصور لمختلف مباريات "الروديو" التي اشترك فيها "سوني" وكلها تظهره وهو في قمة ادائه خارجا من المخزن فوق ظهر الثور المتوحش او مسيطرا على عجل بيديه . قالت:

- يا للمخلوق المسكين.

سمعته "ديبي" يصيح خلفها:

- هاي! انتظري دقيقة.

سارعت الخطوات.

- "ديبي".

عندما وصلت إلى الخارج صعدت سيارتها صفقت الباب بعنف وأوصلت السلكين وبعد محاولتين فاشلتين دارت السيارة "رامبلر" القديمة.

امسكت "ديبي" عجلة القيادة وهي تغلي داخليا ووجهت السيارة إلى الممر المغطى بالحصى ورات "سوني" وهو لايزال حافي القدمين بعيدا عنها في نفس الطريق.

القت نظرة سريعة على مؤشر الوقود مما جعل ثورتها تزيد ومع ذلك ضغطت بقوة على بدال السرعة واندفعت امامها مباشرة ولكنها ضغطت الفرامل عندما وصلت إليه فقفز حولها ليتجنبها لقد كان كعادته رشيقا. خرجت من السيارة واخذت تصيح ويداها في وسطها:

- إنك مدين لي بهذه الخدمة .. إنها مجرد خمسة دولارات يا إلهي ! هذا كل ما اطلبه وليس هذا بالثمن الغالي الذي تدفعه نظير إنقاذي لحياتك . إنني لم يسبق لي أن طلبت منك شيئا ولكن .. يا إلهي ! يلزمني خمسة دولارات الآن .

لم تستطع أن تكتم رجفتها .

- "ديبي" ! هل يمكن أن تهدئي دقيقة حتى يمكننا الحديث ؟

تصور "سوني" انه استطاع أن يجد اللهجة المناسبة ولكن "ديبي" لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بالاستماع .

قالت تواصل كلامها وهي تشير إليه مهددة :

- إذا لم تعطني الدولارات الخمسة في الحال . اقسم أن أقول لكل فتيات المنطقة .

إنك لست رجلا بمعنى الكلمة .. هل تسمعني يا "سوني بيرتون"؟

سارع رجلان بالخروج من المخزن ليريا مايجري . تابعت كلامها:

- وفي أي مكان ستذهب إليه أضمن لك انك ستكون محل سخرية كل الفتيات ، وساجعل منك شخصا مشهورا وأضمن لك ذلك .

لم يستطع "سوني" أن يكتم ضحكته ورفع يديه لأعلى مستسلما ثم اقترب منها وامسك بذراعها ثم سحبها إلى عتبة الباب حيث اجبرها على الجلوس على اول درجة من السلم بجواره . فكر انها لا تزال تحتفظ بطبيعتها كالقطة الشرسة وتستطيع دائما أن تجعله يضحك .

تلوت "ديبي" وهي تحاول أن تتخلص منه وفي هذه اللحظة شاهدت سيارتها القديمة تلتهم المنحدر بسرعة لتصطدم بجدار المدخل الضخم ، صاحت :

- لا !

حاولت أن تتخلص من قبضة "سوني" ولكن بدا انه مصمم على الاحتفاظ بها بالقرب منه بدلا من أن يدعها تجري وراء سيارتها . صرخت هادرة وهي تحاول أن تتحرر .

- سيارتي !

فهم "سوني" أخيرا ماذا تريد أن تفعل في اللحظة التي اصطدمت فيها السيارة بالجدار بضجة .

صاح يتحطم .

تركها ونهضت "ديبي" وتقدمت ناحية الجدار ببطء شديد . وصمتت لم يصب الجدار باي خدش ولكن الجزء الأمامي للسيارة كان قد تحطم تماما .

تجمع الرجال حول الحادثة وخرجت "هالي" نفسها من المنزل . فكرت "ديبي" أن الأمور لايمكن أن تكون اسوأ من ذلك . لقد فقدت زوجها

وأباها وعملها والآن سيارتها . كانت تلك السيارة "الرامبلر" جزءا من تاريخها وكانت تزاملها منذ الاستقلال .

رأى "سوني" خيبة الرجاء على وجهها وحاول أن يسري عنها فامسك بذراعها ولكنها ابتعدت عنه بعنف وقالت بصوت هادئ يثير الدهشة وهي مستسلمة :

- منذ اللحظة التي دخلت فيها المقهى أمس لم أكف عن التعرض للمتاعب . بالأمس كان عندي عمل وسيارة وعائد متواضع . واليوم ليس معي سنت واحد ولا عمل ولا حتى وقود للسيارة . وكل هذا ليس شيئا لانني لم يعد لي حتى سيارة .

نظرت إليه نظرة سوداء ثم سالته وهي تكتم نحيبها .

- هل لابد أن تحطم كل ما تلمسه ؟

دارت على عقبيها وسارت في الممر حتى باب الخروج بعد أن غادرت المزرعة سارت خمسمائة متر على قدميها نحو الطريق السريع ثم سمعت صوت "كلاكس" خلفها ولكنها لم تعتن بان تدير رأسها للخلف وهي تتخيل بسهولة من وراءها . سالها من نافذة السيارة :

- هل تنوين العودة إلى بيتك على قدميك ؟

- بالضبط .

قال بصوت مرح :

- هيا يا "ديبي" .. إن الجو حار لا يصلح للمشي .

لم تجب وعند الأفق كانت السماء تختلط بالجبال في هالة من الضوء المبهر . سار "سوني" بجوارها فترة قصيرة قبل أن يضغط على بدال السرعة ويسير إلى مسافة للأمام ثم يتوقف على جانب الطريق ، فتح بعد ذلك باب السيارة المجاور له وانتظر إلى أن تصل . فكرت "ديبي" في البداية ان تواصل السير في طريقها ثم ادركت انها حافية القدمين .

www.elromancia.com

إنها لم تهتم حتى بارتداء حذائها . فكرت أن "سوني" لم يعد يشبه راعي البقر الذي كانت زوجته . نظرت إليه نظرة حائرة . قال "سوني" :

- ديبي" ! لابد أن نتناقش . لقد مرت سنوات لم نتقابل فيها . ثم إنني أقسمت لـ"هالي" أنني ساعيدك للمزرعة . انت لا تعرفينها وهي يمكن أن تكسر ضلوعي لو عدت بدونك .

ردت عليه وهي تتحداه بنظراتها :

- كفاك أكاذيب يا "سوني" .

زمجر وقد أحس بالحنق :

- أيتها اللعينة ! لابد أن أحدثك .. اعرف انك تواجهين متاعب بسببي.

- من فضلك انس هذا .

خفض "سوني" رأسه ومرر أصابعه في شعره ثم قال وهو يشعر بالحرج .

- ربما كنت قاسيا بعض الشيء معك هناك ...

ساد صمت طويل وأحست "ديبي" فجاة بالتعب وعدم قدرتها على اتخاذ قراراتها بنفسها . ثم إنها تستطيع أن تمنحه بضع دقائق. فماذا يمكن أن يغير ذلك من الأمر ؟ نظرت مرة أخرى إلى قدميها الحافيتين وفكرت في التورمات التي سببها عمل الأمس ثم أمامها طريق طويل تقطعه . قال :

- هيا تعالي ، لأنني أحس بالسذاجة والبلاهة في هذا الوضع ولا تضطريني أن أطاردك كيلو مترات طويلة .

ابتسمت ابتسامة تعيسة وفتح لها "سوني" الباب المجاور له فدارت حول الشاحنة . قالت في نفسها :

- لابد أنني معتوهة .

صعدت بجواره وابتسامة تضيء وجهها وانطلق "سوني" في سعادة عائدا إلى المزرعة .

###

جلسا مرة أخرى أمام المائدة في المطبخ حول أقداح القهوة بمصاحبة "هالي" تحدثت "ديبي" في حزن عن المكالمة التليفونية التي تلقتها من المأمور يخبرها عن موت أبيها ثم عن أحداث الليلة الماضية وهي تتجنب بعناية بعض التفاصيل المحرجة . سألت "هالي" .

- إذن ماهي مشروعاتك ؟

خفضت "ديبي" عينيها :

- ساحاول أن اكسب بعض المال بسرعة مما يتيح لي الاحتفاظ بمزرعة والدي فترة اكبر ثم لدي فكرة أو اثنتان في عقلي ولكن ...

هزت رأسها وأكملت .

- ... لست أدري بعد .

قال "سوني" معلقا .

- انت لا تستطيعين أن تمنعي نفسك من معاودة الهجوم .

- إن ما انوي أن افعله ليس من شانك يا "سوني" ولكن لمعلوماتك ولإرضاء فضولك فاعلم أنني استطيع أن استقر في المدينة وأعمل فيها . لسنا جميعا نمتلك مزرعة بمليون دولار تساعدنا على الحياة .

إن لدي عملا في جامعة "هوستون" وجاهدت كثيرا حتى أحصل عليه. ثم ماذا افعل هنا ؟ أربي الجياد ؟

قال "سوني" وهو يبتسم :

- كان والدك سيعتبر ذلك لائقا جدا .

ابتلعت "ديبي" ريقها بصعوبة قبل أن تجيب :

- هذا صحيح .. كان سيعتبر ذلك لائقا جدا .

قال "سوني" بصوت ممطوط :

- ولكنك كنت تفضلين العمل في اماكن مثل "لون ستار" .

- وهل هذا لايناسبني ؟

دفعت مقعدها للخلف بعنف وحدجته بنظرة غاضبة .

- أولا اذهب دون رجعة يا "سوني بيرتون" ! ليس من حقك أن تحكم على ما افعله . لقد كنت اكبر غلطة ارتكبتها في حياتي وانا سارحل الآن.

- انتظري .. من فضلك .

أمسكها من رسغها وقال معتذرا وهو يتجنب نظراتها .

- اسمعي يا "ديبي" انا آسف واحتاج إلى عشر ساعات من النوم حتى أستطيع ان اشرح وجهة نظري بهدوء ولا أسهل من ذلك هيا اجلسي من فضلك .

أرادت "هالي" أن تهدئ من الجو وقالت :

- إن هذه الحرارة تؤثر على أعصابك وتجعلك عصبية .

ردت "ديبي" .

- كل ما أحتاجه هو أن أجد من يعيدني إلى بيتي .

ساد صمت طويل . أعلن "سوني" بلهجة شنيعة .

- إن "هانك تيرنر" في حاجة إلى زيارة صغيرة تدخلت "هالي" .

- "سوني" هل يمكن أن تسعدني وتترك الأمر للشرطة .

- أوه ...

ردت "هالي" معترضة .

- لا تجب بهذه الطريقة . أنا أعرف تماما ماذا تعني "أوه" هذه وتذكر ن والدك لم يكن يحب الشجار من الآن .

صحح لها "سوني" معلوماتها بلهجة خشنة :

- إن "دستي" لم يعش إلا من أجل ذلك .

ردت عليه "هالي" :

- إن ما كان يحتاجه هو السلام والهدوء ليشفى وأنت ستساعدني في ذلك .

نظرت إليهما "ديبي" . أولا تأملت "هالي" ثم "سوني" ثم عادت إلى "هالي" وهي تنتظر من سيخرج منتصرا من هذه المعركة الكلامية .

تحول "سوني" نحوها وأعلن في غضب مشكوك فيه وهو يحك ذقنه :

- نحن في حاجة إلى طباخة وستخدمينا كثيرا لو قبلت .

أيدته "هالي" وهي تنتهز الفرصة :

- هذا صحيح . إنك بذلك تخدمينا ولن تفعلي سوى إعداد الأطباق العادية مثل دجاجة محمرة وثريد اللحم ويخنة الفلفل ومثل هذه الأشياء وانا ساهتم بوجبات "دستي" .

سألها "سوني" :

- هل تريدين هذه الوظيفة ؟

- لا . شكرا .

- إذن ماذا هناك ؟ يلزمك عمل .. أليس كذلك ؟ أم أن الرفض بسببي ؟

جلس في مقعده على راحته وعيناه شبه مغلقتين .

- هل تخافين أن تقابليني وسط الأحراش يا "ديبي" ؟

حدجته بنظرة تحد يعرفها تماما :

- يا عزيزي أنت بالنسبة لي أسوأ من مرض الحصبة ولكني أخذت طعما حصنني ضدك اليوم ولا أخشى أن أرى خيالك يتبختر في خيلاء في المنطقة .

صاحت "هالي" وهي تلوح بمريلتها :

- أوه .. واحد : صفر لصالح "ديبي" .

www.elromancia.com

قال "سوني" .

- حسنا .. لقد أصبحت الطاهية الجديدة لدائرة "بيرتون" نظرت الشابة إليهما كل واحد بعد الآخر وأخذت تتلعثم محاولة ان تجد مهربا.

- ولكني .. و"هالي" ؟

أجابت "هالي" .

- لا تقلقي من هذا أيتها الشابة . إن والد "سوني" في المستشفى بسبب لكمة وجهها له أحد ثيرانه المفضلة وقضى "دستي" ثلاث ساعات في حجرة العمليات ولكنه بدأ يشفى الآن . و"بن" موجود حاليا في "هيوستون" يرافقه . باختصار سيعود هذا الأسبوع ويلزمنا هنا شخص يتولى مراقبة التزامه السرير وأن ياكل جيدا . وهذه مهمتي . إن الرجل الطيب يصبح رهيبا وهو مريض مثل هذا المخلوق .

لقد كنت أعمل ممرضة قبل أن أعمل هنا ويحدث كثيرا أن أعالج الإصابات والجروح لهذا الفتوة ووالده . وأخيرا الخص الوضع فإن الشباب لم يعد لديهم طاهية متفرغة في الأيام القادمة .

أضاف "سوني" :

- وانت تبحثين عن عمل .

أيدته "هالي" وهي تنظر إلى "سوني" في تفاهم .

- والمرتب ممتاز . ولن تضطري للطهي لكل الأسرة إلا في الإفطار والعشاء . أما في منتصف النهار فإنك ستطهين لعشرة اشخاص بينما ستتاح لي الفرصة للاهتمام بالبيت وسيكون لديك مابعد ظهر السبت وطوال الأحد تكونين فيهما حرة.

كان العرض مغريا للغاية . وفي الحقيقة كان أعظم عرض يمكن أن تطمع فيه في المنطقة . ولكنها تذكرت فجاة قرارها الأول :

- لا .. لا أستطيع .. كل هذا الوقت .. حتى اعتني بمزرعتي ؟

اقترحت "هالي" الملهمة بالأفكار الرائعة :

- أجريها فترة الصيف .

استدارت نحو "سوني" .

- "سوني" ! ألا يبحث "بيرني" و"جيني" عن مكان حتى يحصلا على بيت؟

هز "سوني" رأسه وهو يهمهم فاكملت "هالي" .

- لن تجدي شخصا يحب الجياد مثله ثم إن "جيني" ربة بيت ممتازة.

أضاف "سوني" .

- يلزمنا فعلا شخص ما . اقبلي هذا العمل ومن ناحيتي ساعمل على إصلاح سيارتك .

عضت "ديبي" شفتها وهي تفكر في سيارتها "رامبلر" الهدية التي قدمها لها والدها عند بلوغها سن السادسة عشرة . ثم كيف ستعمل في المدينة بدون سيارة لتنقلاتها ؟

درست الوضع من كل جوانبه وهي تحس ببعض الاضطراب من فكرة أن ترى "سوني" كل يوم . في الحقيقة لم يكونا قادرين على أن يظلا معا وقربهما أمر رهيب . فمن ناحية لو قبلت تاجير مزرعتها فإنها تستطيع سداد بعض الفواتير وليس هناك سوى فرسها "لوسي" التي ستقلق من هذا التغيير . ولكن بقية الجياد كانت هادئة ويمكن التعامل معها بسهولة.

كانت تامل فقط الا تفعل ذلك حتى لاتكون بجواره.

قالت شارحة وجهة نظرها ولتضع الأمر في نصابه .

- إذن يمكنني الاستقرار هنا ؟ إقامة وطعاما ؟

وافق "سوني" قبل أن ترد "هالي" .

- طبعا .

كان يبدو على "ديبي" مظهر الاعتزاز بالنفس وهي صغيرة جدا . وكان لعينيها تاثير قوي عليه وود بشدة ان يطرد وميض التردد الذي لايزال يلاحظه في عينيها لقد فكر اكثر من مرة في السنوات الاخيرة فيها وتساءل: أين هي ؟ وماذا تفعل ؟ لم يكونا سوى صبيين عندما تزوجا .

كان قد صحبها في جولة مباريات "الروديو" في المنطقة وهما لا زالا صغيرين وتمردا على والديهما . لم يكن قد حصل على اي جائزة في تلك السنة ولكن لاول مرة أصبح سيد نفسه وكان يحب أن يصبح سيد نفسه كان يحب الخطر وهو يمتطي الثور واراد ان يصبح مشهورا ويكسب أموالا من عرق جبينه .

والذي لم يكن يحبه على الإطلاق هو راعي البقر الذي كان يحوم حول "ديبي" .

اعلنت "ديبي" قبولها مما أعاده إلى الواقع من أحلامه .

- لقد قبلت وأريد أن اعمل كما فهمت دون أن تعاملني إحدى الحمقاوات . والا يقول لي أحد ما أفعله .

تجهم "سوني" وهو يشعر بالمهانة والغيظ :

- إنني لم اعاملك ابدا ...

قاطعته :

- ولا اريد ان اثرثر معك عن الماضي .

استسلم وهو حانق :

- موافق ...

- في هذه الحالة اقبل الوظيفة مدة هذا الصيف .

متى يمكنني أن أبدأ ؟

اشرق وجه "هالي" من البهجة بينما غمغم "سوني" .

- حسنا .. من الأفضل جدا أن اذهب لأرى حالة هذه السيارة.

الفصل الثالث

رتبت "ديبي" منزلها من أجل المستاجرين الجدد عندما قام "باك برادي" بزيارة قصيرة لها . لم يدخل المنزل وإنما ظل واقفا في الفناء وقبعته في يده . شرح لها "باك" أن والدها اقرضه قرضا شخصيا من عدة شهور مضت وفي مقابل ذلك فإنه مدين له بمائتين من احسن الجياد وضعها الآن تحت تصرفها فوق قطعة من الأرض في شمال مزرعتها .

ذهلت "ديبي" من الخبر فقد بدات الأمور تتخذ اتجاها جديدا .

بعد رحيل "باك" ذهبت إلى البنك . الأمر إذن انها لم تفقد المزرعة بعد فإن ديونها تحولت باسمها وسيكون معها من الآن مايكفي من النقود لمواجهة الأسابيع الستة القادمة حتى وإن لم تعمل شيئا.

اقترضت من "باك" شاحنته لتنقل الفرس "لوس" إلى إصطبل الـ"بيرتون" ونامت جيدا هذه الليلة وهو الأمر الذي لم تستطع ان تفعله

www.elromancia.com

طوال الأسبوع والأسابيع السابقة . استيقظت قبل الفجر بقليل وهو اليوم المفروض أن يمر "سوني" ليصحبها .

لم تفكر كثيرا فيما فعلته وفي الخيال الذي تصورته عندما ستذهب للحياة بعض الوقت في مزرعة "بيرتون" وأنهت الاستعدادات الأخيرة لاستقبال "بيرتي" و"جيني هولدن" لقد كفاها أن تعيش وحيدة وحسدت "سوني" على حياته النشطة إنه يعيش الحياة التي اختارها والأسرة والمال ربما تغير رأيها لو عملت عندهم بعض الوقت ومع ذلك فإن "سوني" بدا مختلفا وكأنه اكتفى من عدم المبالاة والسلوك الوحشي اللذين اظهرهما أثناء زواجهما .

هزت "ديبي" رأسها وزفرت وهي تغلق صندوقا من الكرتون . لقد مرت سنوات منذ طلاقهما ولأسباب وجيهة . ومن ناحية أخرى لم يلمح هو ولا "هالي" إلى "توم" فكرت أن تلك علامة غير صحية وهي تغلق صندوقا ثانيا .

###

لم تغادر "ديبي" أفكار "سوني" أبدا وظلت تقاطيع وجهها الفخور تطارده . لقد كان دائما يتمناها ويرغب أن يحميها .

بينما يقود السيارة في اتجاه مزرعة "ستون" قال "سوني" في نفسه: إنه لم يذهب إلى هناك من سنوات وما رآه هناك كان من الممكن أن يرى مثله لو أن مزرعته كان ينقصها المال والأيدي العاملة من شهور طويلة . رأى البيت الذي من طابقين وقد تخرب جزء منه وحملت الرياح إلى أنفه رائحة مالوفة وهو يلقي نظرة حوله .

كانت الحديقة في حاجة إلى تهذيب ولكن عاطفة الحزن التي تنبعث من المكان كانت تناسب هذا الإهمال . ولكن هناك شيئا ما في الجو ... يبعث على الهدوء والاطمئنان .

رأى باب الدخول ينفتح وتظهر "ديبي" لم تكن عيناها اللتان تشبهان عيني القطة تعبر عن شيء .

كانت قد رفعت شعرها الأشقر في ضفيرة فوق رأسها على شكل الكعكة . أحس بأن "ديبي" تائهة فأخذ يردد اسمها وهو يلهث . كان رباط أحد فردتي صندلها محلولا ، ولكنه امتنع عن أن يعلق على ذلك لأن ذلك زاد من سحرها . أعلنت بصوت حزين .

- لقد تم حزم كل شيء ولم يبق سوى ملء صندوق أو صندوقين من الكرتون .

- حسنا !

نظرت إليه وهي مبهورة رغما عنها . كانت كل حركاته تتميز بالرشاقة والليونة جعلتها تستعيد ذكرياتها . كان في "الجينز" والقميص الـ "تي شيرت" الأسود رشيقا رشاقة راعي البقر الواثق بنفسه .

دفع قبعته للخلف ورمش بعينيه أمام أشعة الشمس الساطعة . بدا أنه ينتظر شيئا . قال :

- الجو حار .

- أتحب مياها غازية ؟

وافق وهو يقترب منها :

- هذا يعجبني كثيرا .

قبل أن يقترب أكثر من اللازم اتجهت "ديبي" إلى المطبخ وقالت بصوت مرح :

- هذا هو الشيء الوحيد الذي لاينقص هنا أبدا .

احمر وجهها وهي تتذكر الأشياء الكثيرة الناقصة فتحت باب الثلاجة الكهربائية ودست أنفها داخلها .

www.elromancia.com

القى "سوني" نظرة على قاعة الطعام وعلى الأريكة المستعملة والمقعد الهزاز الخاص بوالدها والمائدة الكبيرة المغطاة بالخدوش . وتذكر انه جلس فوق الأريكة بينما "بيل ستون" يدخن غليونه ويتارجح فوق مقعده . لم يخف عنه "بيل" انه اكبر من اللازم في السن عن ابنته وانه مستهتر ولا يصلح لابنة الثامنة عشرة ولكنهما كانا هو وهي مصرين ومصممين بقوة حتى انتهى الأمر بـ"بيل ستون" للاستسلام رغما عنه .

بعد ستة اشهر من الموافقة تزوجا وكان "سوني" يحب التملك لدرجة رهيبة واصر على ضرورة ان يتم الزواج بصفة رسمية لأن شيئا ما داخله يخيفه من فكرة ان يفقدها . قال معلقا :

- إنه سيكون رائعا بالنسبة لـ"بيرني" و"جيني" .

لقد كانا يعيشان حتى الآن في مقطورة كما تعلمين و"جيني" ستعشق المطبخ فطالما تاقت لامتلاك واحد .

قدمت له "ديبي" المياه الغازية في كوب كبير وسط الثلج المجروش . قال وهو يرفع عينيه إليها .

- شكرا .

ولكنها حولت عينيها وقد علت شفتيها ابتسامة الية . سالها :

- ما الذي يضحكك ؟

- لاشيء .

ولكنه ظل منتظرا الرد فقالت :

- إنه بالضبط .. حسنا .. إنه غريب للغاية أن تكون معي هنا في البيت وتتحدث عن "جيني" وعن رغبتها في ان يكون لها مطبخ خاص بها .

ظل صامتا فترة ثم سالها :

- هل تنوين بيع المزرعة ؟

بدا أن السؤال فاجاها . قالت بعد صمت :

- حسب الأحوال .

- مثل ؟

- بعض الأمور .

- أوه !

قرر "سوني" أن ينسى الموضوع . سلك حلقه وبحث داخل جيب بنطلونه واعلن وهو يخرج رزمة من النقود :

- أوه ! لدي بعض الشي من أجلك .

اتسعت عينا "ديبي" وسالته :

- هل ذهبت إلى مقهى "لون ستار" ؟

وضع النقود على المائدة وقال :

- هذا أجرك عن الأسبوع شاملا الهبات لما رأى انها لم تتحرك واكتشفت بتامل النقود . أضاف .

- هذه النقود لك فخذيها .

اقتربت واخذت النقود وأرادت أن تشكره ولكنها لم تستطع . قال :

- على الاقل لم تشعري بالجرح .. اليس كذلك ؟

- ليس هناك شيء طاهر على اية حال .

أخذت تضحك وهي تمسك بجانبها وسالته .

- هل استعدت نقودك .

- أوه !

- شكرا .

لقد قالتها اخيرا .. لقد شكرته ولكنها احست فجاة بالخجل . شم "سوني" رائحة شعرها وهي تحني راسها فاحس الاضطراب من الذكرى أيضا . قال :

www.elromancia.com

- لست مضطرة لشكري .

سالته :

- لماذا تحمل "هانك" عليك لهذه الدرجة ؟

ظل "سوني" صامتا بضع دقائق بعد ان رآها تتراجع للخلف خطوة عندما ادركت انهما قريبان اكثر من اللازم . اخذ يدير السؤال في رأسه محاولا إيجاد أحسن رد عليه ثم بدأ يشرح :

- لقد حدث ذلك عندما كنا في المدرسة . وفي إحدى الأمسيات بعد مباراة "روديو" كنت اخر الموجودين في الردهات وعلى وشك الرحيل عندما سمعت فتاة تصرخ . كان "هانك" قد حاصرها ضد الجدار وكانت تصرخ في الحقيقة لتطلب منه أن يكف .

هز كتفيه بلا اهتمام ولوى فمه وقال :

- ثم انقذتها منه .

تخيلت "ديبي" بالضبط التفاصيل التي تعمد "سوني" أن يتجاهلها وكان المشهد واضحا أمامها . سالته :

- بالمناسبة .. ليس "هانك" هو الذي ضربني ولو كنت ذهبت لمقابلته بسببي لعلمت انه لم يكن هو.

تجهم "سوني" فجاة وتخشب جسده .

- من إذن ؟

لوحت بيدها بحركة مبهمة وسالته بوحشية .

- لماذا تفعل كل هذا ؟

- كل هذا ؟ ماذا تقصدين ؟

- لماذا انت لطيف معي إلى هذه الدرجة ؟ أولا هذا العمل ثم السيارة التي تريد إصلاحها ؟ لماذا؟

احست بغصة في حلقها واشاحت بعينيها . ظل يتاملها فترة طويلة

دون رد وهو محرج :

- اعرفي أنني تعلمت أشياء كثيرة عن نفسي منذ فترة "الروديو"، لم أكن من النوع الذي يوصف بانه سهل العيش معه وربما ...

قاطعته فجاة :

- كف .. لا .. إنني لا أتمسك بان تشرح لي ذلك يا "سوني" .. لا أريد أن نعيد الحديث في ذلك .

ظل يحدجها مدة طويلة دون أن يتكلم . اخذ يفكر ما الذي يشرحه لها؟ إنه لم يصل إلى مستواها هذا كل ماهناك . تجهم وجهه وكز على أسنانه وحاول تغيير الموضوع . كان هناك أمر آخر يريد توضيحه .

- من الذي ضربك يا "ديبي" ؟

نظرت إليه وهي مذهولة ولاتعرف كيف تخبره بالأمر في تلك اللحظة اقترب منها ووضع يده على خدها .

- من ياعزيزتي ؟

- ليس مهما .. حقا!

ساده شعور غريب أنها تحاول حمايته عن طريق إخفاء الحقيقة. زفر وتخلى عن الموضوع :

- حسنا جدا .. اعتقد من الأفضل أن نهتم بالصناديق .

قال لها مطمئنا وهو يتجنب نظراتها :

- ساقوم بذلك ولكن لم تستغرق سوى دقيقة . هل هي هناك ؟

كانت هناك هذه تعني حجرة والدها حيث يوجد سرير مهلهل وجهاز تليفزيون وتسريحة ذات مرآة مخدوشة تزيد من قسوة الفراغ والسكون.

نظرت إلى صناديق الكرتون المرصوصة على الأرضية وفي اقل من ربع ساعة كانا في طريق العودة إلى مزرعة "بيرتون" وقد وضع حقيبتي

www.elromancia.com

سفرها على الأريكة الخلفية . التزم "سوني" الصمت ولايريد ان يخرج من افكاره وكانه يحس بالألم الذي تشعر به "ديبي" وهي تغادر مزرعتها .

عندما وصلا إلى الأملاك الخاصة بال "بيرتون" دخلا وقام "سوني" بمصاحبتها في زيارة البيت . قال لها وهما يصعدان بحقيبتي السفر إلى الدور العلوي:

- إنك لم تتعرفي على المكان . إن "هالي" تحتل حاليا حجرتي القديمة . وترك "دستي" لها مهمة إعادة ديكورها كما تحب . وهي تسميها "الحجرة الزرقاء" . دفع الباب بقدمه وسمح لها بالدخول قائلا :

- هنا ستنامين .

لاحظت "ديبي" الحجرة الفسيحة ذات الستائر الزرقاء المزركشة بإسراف وارضيتها مغطاة بسجادة خليط من الأبيض واللازوردى. بل إن بعضهم . فكرفي وضع باقة من الزهور البرية فوق مكتب صغير . بجوار النافذة قال "سوني" محددا :

- إن حجرة الحمام لم يتغير مكانها ومن الأفضل ان اعود إلى عملي الآن .

قالت "ديبي" :

- شكرا .

هبط بعد ذلك الدرج وهو يقول :

- رتبي أمورك واشعري أنك في بيتك . اوه ... لقد نسيت .. هناك أمر لابد أن تعرفيه .

سالته "ديبي" .

- ماذا ؟

- إنني ... اوه لقد كذبت عليك في ذلك اليوم ونحن في المطبخ عندما

قلت لك : إنني لم أتذكر وجهك لقد كان في ذهني أمور

أخرى تشغلني في ذلك الصباح . هبط الدرج بسرعة وخرج من البيت.

###

عادت "هالي" إلى المزرعة حوالي الساعة الخامسة بصحبة "دستي" و"بن" سمعت "ديبي" صوت السيارة من أعلى الحجرة وهبطت إلى البهو . ألقت نظرة على الخارج وتعرفت في الحال على السيارة "اللنكولن" السوداء القديمة الخاصة "بدستي" ورأت "هالي" تفتح بابها أولا وهي تزفر وتصيح :

- إنني لا أهتم على الإطلاق بما تقوله أيها البغل العجوز وستفعل ما أقوله لك . ثم ليس أمامك أي اختيار .

خرج "بن" بدوره من السيارة . لا بد أن ستة وعشرين عاما الآن وهو ضخم ومليح وقد تغير كثيرا منذ أن رأته لآخر مرة . تأثرت من مدى عنايته بوالده وهو يخرجه من السيارة . هدر "دستي" بصوت صاخب :

- وكيف يكون لي حرية الاختيار ؟ ولكني على أية حال أستطيع أن أطردك . هذا هو ما أستطيع أن أفعله .

ردت "هالي" في مكر .

- إنني حتى لم أسمعك .

زمجر "دستي" وهو يدفع يد ابنه التي سندته بعيدا .

- أستطيع أن أسير بمفردي .

قال "بن" بلهجة مرحة :

- هيا يا "بابا" .. هل ترغب أن تعيد فتح جروحك !

أمسك والده من وسطه وساعده على السير إلى البيت عندما بدأ "دستي" يصعد درجات الفناء لمح "ديبي" قال صائحا وهو يبتسم باشا :

www.elromancia.com

- هيا .. هيا .. صباح الخير ياصغيرتي . مر وقت طويل اليس كذلك ؟

احتضنته "ديبي" في حرارة وهمست في اذنه :

- انا سعيدة لعودتك إلى هنا ياعزيزي .

خطا خطوة للخلف ثم سلك حنجرته وقال :

- لقد أخبرتني "هالي" انك ستبقين معنا بضعة اشهر وانا شاكر لك هذا من كل قلبي .

كانت "ديبي" واقعة تحت سيطرة سحر "دستي" تماما . كان يناديها ابنتي الصغيرة كما كان يفعل والدها قالت "ديبي" وهي تبتسم :

- دعنا نضع النقط فوق الحروف . إنني لست هنا إلا من اجل ان أستعيد توازني بعض الشيء ولان ابنك كلفني ان افقد عملي . ثم إن ذلك بصفة مؤقتة .

صاح "دستي" وهو يكتم نوبة سعال :

- رائع ! ثم إنني احب الصواريخ غير الحقيقية قالها بلهجة تحمل معاني خفية واستدار نحو "بن" وقال :

- والآن إلى حجرتي . يا ابني .

قال "بن" وهو يشعر بالخجل .

- دقيقة يا ابي ! إنني حتى لم اقل صباح الخير لـ"ديبي" اقترب "بن" منها وأخذ هابين ذراعيه فقالت معلقة :

- لقد كبرت جدا حتى وجدت صعوبة في التعرف عليك .

قال "بن" مازحا .

- وانت لا زلت عزبة .

بدا أن "ديبي" لم تستسغ المزاح فنظرت إليه نظرة باردة كالثلج وفهم "بن" في الحال غلطته . تراجع وهو يشعر بالحرج وفتحت "ديبي" لهم الباب .

في اللحظة التي دخلوا فيها لاحظت "ديبي" . العرق الذي يغطي جبين "دستي" ورات انه يكز على أسنانه من المجهود الذي يبذله .

وصل "سوني" وراءهم مباشرة وصاح وهو يبتسم :

- أبي ! لقد بكرت بالحضور . ماذا فعلت ؟ هل جريت ؟

تعانقا في حرارة ورجولة . قال "سوني" :

- يبدو عليك اللياقة التامة .

- يا "ابني" انت اكبر كذاب في هذا البلد . ولكني انوي ان استعيد عافيتي بسرعة وانتبه فإنني استطيع ان اسرق منك هذا الشيء الجميل الذي احضرته لنا .

قال في ثقة وهو ينقل نظراته إلى "ديبي" التي لم تستطع إلا ان يحمر وجهها . تساءلت : ماذا يريد ان يقول ؟ هل يظن انها و"سوني" ...؟

حجزت "سوني" من ذراعه بينما يصعد الآخرون الدرج .

سالته هامسة :

- ماذا قلت لأبيك ؟ حول سبب وجودي هنا ؟

- في الحقيقة لم تتح لي اي فرصة لان اقول له اي شيء . فقد اهتمت "هالي" بذلك .

- إنه يظن اننا عدنا لبعض .. اليس كذلك ؟

جذبها حتى باب الدخول ودفعها للداخل . صاحت :

- لا ... ستنامين في بيتك وسانام في بيتي .

- انا متاكدة من انه يظن اننا تصالحنا .

- وماذا نفعل ؟ إن ذلك سيعطيه شيئا يشغله التفكير فيه وهكذا سيتمكن من نسيان آلام جروحه .

- اريد منك ان تذهب إليه وتشرح له انني لم ...

اننا لم ...

www.liromancia.com

قال "سوني" عندما رآها تبتسم واستسلم .

- حسنا ! موافق .

- لا انتظر !

أمسكت بذراعه مرة ثانية واحست بقوة عضلاته تحت أصابعها. وسالته :

- ماذا ستقول له ؟

- ساقول له "يا ابي يجب أن تعرف أن تلك الفتاة الجميلة وانا لانعيش معا ولا أريد منك ان تفكر افكارا سيئة .. هكذا . ما رايك؟

ودت لو تصرخ ولكنها امتنعت ورفعت عينيها للسماء :

- إن هذا سيزيد الأمور سوءا وانت تعرف ذلك !

سالها وهو يظهر الملل :

- ماذا تريدين مني أن افعل ؟

فتحت فمها لتقول شيئا ولكن شيئا لم يخرج منه امام المظهر البريء الذي بدا عليه ودت لوفقات عينه الاخرى . هزت كتفيها في استسلام ودارت على عقبيها ودخلت المنزل وهي تبتلع يأسها .

الفصل الرابع

نهضت "ديبي" في صباح اليوم التالي في الخامسة وارتدت ثوبا منزليا بسرعة وهبطت إلى المطبخ لإعداد الإفطار . كان الظلام لايزال سائدا في الخارج واستغرقت ربع ساعة كاملا حتى تحس بالاستيقاظ .

أعدت القهوة وفطيرة اللبن وأعدت المائدة .

ظهر "سوني" أولا في المطبخ وكانت الساعة الخامسة والنصف وقد انتهى من ربط أزرار بنطلونه وقميصه . قالت بصوت يشوبه النعاس وقد تسارع نبضها بعض الشيء :

- صباح الخير يا "سوني" .

تساءلت : ماذا يظنها حتى إنه اثر عليها بهذه القوة. أجاب بصوت جاد أعادلها الذكريات .

- صباح الخير .. هل وجدت كل مايلزم ؟

قالت وهي تحاول أن تخفي عصبيتها :

www.elromancia.com

- ليست هناك مشكلة فإن "هالي" وضحت لي كل شيء أمس هل تريد عصير برتقال ؟

أومأ براسه موافقا وهو يتامل تقاطيع وجهها وجسدها الرائع . قدمت له كوبه من عصير البرتقال والقهوة وعادت إلى إعداد طبق الفطير باللبن .

قالت له وهي تضع طبقه امامه :

- هل ممكن أن تكف عن النظر إلي بهذه الطريقة ؟

- من ؟ أنا ؟

اختار "بن" تلك اللحظة ليدخل المطبخ كالعاصفة وقال : بلهجة الحماس المعتادة :

- أوه ماهذه الرائحة الشهية . صباح الخير "ديبي" و"سوني" القى نظرة على المائدة وصاح :

- فطيرة اللبن .. رائع !

هبطت "هالي" بدورها . وقالت :

- صباح الخير للكل . "دستي" لايزال نائما .

القت نظرة حولها وقالت :

- أستطيع أن أقول : إنك تصرفت بنجاح بمفردك يا "ديبي" . هل تريدين مني مساعدة في الصباح ؟

قالت "ديبي" :

- لا .. اجلسي وصبي لك القهوة .

أكل الجميع بالحماس والبساطة اللتين تميزت عائلة "بيرتون" بهما.

كان "بن" لايكاد يرفع عينيه عن طبقه وهو يتلذذ بإفطاره في تركيز . اما بالنسبة لـ"سوني" فقد طلب بادب المزيد من الفطير فور انتهائه من التهام الجزء الأول وكرر ذلك عدة مرات . مدحت "هالي" "ديبي" مرة

أخرى بعد أن انتهوا من الإفطار . علقت "ديبي" بعد رحيلهما:

- لم أنس أبدا أي معدة يملكون .

في هذه اللحظة جاء صوت من أعلى .

- "هالي" ! "هالي"!

صاحت "هالي" .

- ساحضر أيها الدب العجوز .

خرجت من المطبخ وصعدت لترى "دستي" والجميع يراقبها بعيون مرحة.

###

بينما صلصة اللحم بالفلفل الأحمر تغلي في قدرين قامت "ديبي" بجولة إلى الإصطبلات لزيارة "لوسي" كانت رائحة الحيوانات والأرض المبتلة تسود الجو . كانت الفرس "هوليود لوسي" تحتل الحاجز الرابع من اليمين من المدخل . كانت فرسا عمرها ثلاث سنوات كاملة البنيان وبطنها مكور يدل على انها على وشك الوضع . فكرت "ديبي" أن والدها لو كان لديه شيء عزيز عليه فهو هذه الفرس . همست لها ديبي" :

- أيتها الفتاة الشجاعة .. كم انت فاتنة . قال . أحدهم من خلفها :

- إنها فرس جميلة مثل التي عندك .

استدارت ورات رجلا في الخمسين من عمره له وجه مستدير وشعر أحمر يبتسم لها . قال وهو يخلع قبعته .

- بادي أو مالي " يا آنسة !

هزت له راسها خفيفا .

- "ديبي ستون" .

- تشرفت .. لقد قال لي الرئيس أن أسهر على توفير كل مايلزمك .

بدت عليها الدهشة لحظة .

www.elromancia.com

- هذا لطيف منك جدا يا سيد "أومالي".

قال مقترحا وهو يبتسم مرة أخرى :

- ناديني "بادي" فلا داعي للرسميات . أنا المسؤول عن الإصطبلات وعليه إذا كان لديك استفسار أو أي سبب للشكوى... قالت :

- موافقة يا "بادي" . ربما أريتني مكان السرج .

- حاضر يا آنسة .

لبس قبعته وقال :

- من هنا !

تبعته "ديبي" ولكنها وقفت على بعد عدة حواجز ثم صاحت وهي تنظر في حنان إلى جواد "سوني" :

- ولكن هذا "باكو" "باكو" العجوز .

أخذ الجواد يحفر الأرض تحتة وكأنه يثبت لها أنه يعرفها وأعطته "ديبي" قطعة من السكر وقالت :

- هيا بنا يا "بادي" !

###

وقت الغداء دخل عشرة رجال جائعين بما فيهم "سوني" وتدافعوا من الباب الخلفي وذهبوا للاغتسال بسرعة في الحجرة المخصصة لهذا الغرض . وعندما ظهر مرة ثانية في المطبخ قام "سوني" بعملية التعارف وأصبحت أمام كل رجل موضع التأمل والفحص الدقيق المقرون بالإعجاب . لدهشتها الشديدة لم يكن يعرف أي منهم من هي ولكن ذلك لم يستمر طويلا . قال أحدهم :

- إن المنظر في داخل المطبخ أصبح مبهجا .

صاح أحدهم :

- كم تغيرت يا "هالي" ؟

- آه يا قلبي من رائحة صلصلة الفلفل التي تجعلنا نطير في الهواء !

فكرت "ديبي" أن هذا الغزل المكشوف يمكن أن يفسد الوجبة ولكنها لم تجد مفرا من تقديمها . وعندما قدمت لهم كعكا دافئا مع الحلوى تعالت صيحات الاستحسان من كل الجهات . والتعليقات توالت :

- هيه ! هذا رائع .

- أنا مستعد لأن أدفع أي شيء في سبيل زواج امرأة كهذه. سأل "بادي" :

- هل تستطيعين طهي اليخنة الأيرلندي يا آنسة ؟

إنها يمكن أن تشحنني لأتزوج مرة ثالثة .

- أستطيع أن أطهي هذا الطبق يا سيد "أومالي" ولكن من الأفضل أن تأكل الفطائر .. هل لديك فكرة كم تكلف المرأة غاليا ؟

أوشك "بادي" أن يختنق وانفجر الجميع في الضحك طوال الوجبة و"سوني" يتاملها في صمت . كانت تتوقع إحدى تعليقاته المرحة ولكنه اكتفى بتبادل بعض الكلمات مع الآخرين . تساءلت: ماذا يمكن أن يعني هذا الصمت حقا ؟

زفرت وحاولت أن تنسى أي شيء سوى العمل . انضمت إليها "هالي" في المطبخ ودارت عيناها في محجريهما وهي تبتسم وأشارت إلى "ديبي" لتقترب .

قالت لها وهي تشير بأصبعها إلى الغسالة الكهربائية في الركن:

- بهذه المناسبة أقدم لك "شارلي" .. أعز أصدقائي ولايوجد من هو أكثر منه إخلاصا ونفعا ولاتترددي أن تعهدي له بأشد البقع قذارة .

صاحت "ديبي" :

- يالمظهرك المتكبر يا "شارلي" !

###

عند هبوط الليل ذهبت "ديبي" لتسبح في حوض سباحة المزرعة

www.elromancia.com

وكانت حرارة شمس النهار حتى انتقلت إلى مياهه ، فاصبحت درجة حرارتها مثالية وظلت تطفو على السطح على ظهرها في المايوه الأزرق فترة طويلة وهي تعد النجوم وتسميها بصوت عال قال صوت حاد خلفها مصححا :

- إنه الجوزاء !

أستدارت فجاة وهي تحاول ان تثبت نفسها على السطح ثم ذهبت إلى حافة الحوض وسالته وهي تهز شعرها المبتل للخلف :

- كيف أمكنك أن تعرف عن أي نجم أتحدث ؟

أجاب "سوني" :

- لنقل: إنني اعرفك جيدا .

كان واقفا أمامها بلا حركة على حافة الحوض في مايوه سباحة هو ايضا . لم تستطع "ديبي" أن تنزع عينيها عنه . كان أكثر قوة مما في ذاكرتها وقد بدا صدره أعرض وأكثر عضلات بارزة . أحست فجاة بجفاف في حلقها . ولكن مافائدة أن تستعيد الذكريات ؟

إن كل مايستطيع أن يفعله "سوني" هو أن يجرحها ثانية .

أخذت تعوم في رشاقة بجوار حافة الحوض وسط انعكاس الأضواء البنفسجية على قاع الحوض أمام نظرات "سوني" المفتونة . كان من الواضح أن تاثيره عليها يعادل نفس تاثيرها عليه . وإن أحس بعض التوتر والضيق فخفض عينيه وأتى بحركة مبهمة غير مشجعة .

رفعت "ديبي" راسها في عزة وبرود وهي تراه يرحل دون أن يقول كلمة وقد ادهشتها أفكارها المتصارعة داخل نفسها .

فوقها لمع القمر وسط سماء مرصعة بالنجوم .

###

تاقلمت "ديبي" خلال الأسبوع التالي بطريقة ممتازة على النظام

اليومي المعتاد . أحبت (الفتية) كما كانت تسميهم وكانت "ديبي" تحب اندفاعهم وصياحهم وأهاتهم عندما كانت تعد لهم شيئا ماخاصا . لقد كان للجميع شهية الغيلان . وكانوا يعاكسونها ويغازلونها بلا انقطاع وبطريقة ما أحست بفضلهم بانها في بيتها ولكن ما كان يضايقها سلوك "سوني" المتباعد .

لقد كان ينظر إليها ولكنه ايضا كان ينظر إلى (الفتية) وبدا أنه يؤدي العمل بلا اهتمام أورغبة كما كان يفعل في السابق . وربما كان يحتفظ بعواطفه لنفسه . لقد عرف الجميع الآن أنها زوجته السابقة ولم يتجاوز أحد منهم حدود المغازلة البريئة ومع ذلك لم يظهر "سوني" أي غيرة ظاهرة . ربما تغير أو ربما لم يعد يهتم بكل ذلك مادامت لم تخبره بكل شيء ولكن كيف لها أن تكون متاكدة ؟ إنها لم تستطع أن تصل إلى فهمه عندما كانا معا ...

عرفت أن المزرعة قد نوعت من انشطتها مثل العديد من المزارع في تكساس . إنهم يربون الآن الخيول مثل الماشية وجزء من الأراضي محجوز من أجل البحث عن البترول .

وفي كل يوم بعد إخلاء المائدة وغسل الصحون وترتيبها تذهب "ديبي" إلى الإصطبلات وحظائر الماشية حتى تراقب الرجال وهم يعملون واحيانا كانت تدرب "لوسي" .

###

عندما تاملت "ديبي" "سوني" بعد ظهر يوم من الأيام وهو منهمك في عمله فهمت لماذا سموه "الرشاقة" في دوائر "الروديو" . لقد احبت طريقته في التحرك أو عندما يستعد لامتطاء جواد جامح أو عند إلقاء كرة "بيسبول" أثناء احتفالات يوم الأحد .

وفي أحد الأيام وهي مستندة على السور المحيط بالإصطبلات

وتراقب "سوني" وهو يعتني بجياده نظر إليها في تردد :

ثم صاح وهو ممسك بإحدى الأفراس من اللجام :

- هل تحبين التعرف على أصدقائي ؟

ذهلت وتسارعت نبضاتها ووافقت برأسها . دعاها وهو يبتسم لها ابتسامة صاعقة :

- إذن اقتربي ! هيا ...

أحست "ديبي" بان تفاحتي خديها قد اصبحتا بلون قرمزي وهي تمر من تحت السور لتلحق به . قال لها وهو يشير إلى الفرس الممسك بها

- هذه التي ترينها هي "جبسي" وهي من أصل بوهيمي نقي. ربتت "ديبي" رقبة الفرس التي بدت هادئة قال لها معلقا وقد بدا راضيا تماما:

- إنك لازلت تتمتعين بسيطرتك على الخيل .

قالت "ديبي" وهي تتعمق بنظراتها داخل عيني "جيبسي" الملونتين بلون الشوكولاتة .

- إنها تعرف أنني معجبة بجمالها .. هذا كل ما هناك .

قال "سوني" وهو ينظر إليها بإعجاب .

- كل الحق معك .

أمسكت "ديبي" باللجام بدلا منه وقادت الفرس إلى الإصطبلات. وما إن عادت "جيبسي" إلى ركنها حتى قدم "سوني" ومعه بقية الجياد الموجودة هناك والبالغ إجمالي عددها عشرة وكلها مظهرها يثير الإعجاب . أخذ "سوني" يقص أصولها كما لو كان يحكي مغامراته في الماضي بمزيج من الفخر والإنسانية .

كان حرى بـ"ديبي" أن تشعر بالحسد فقد كان لديه مجموعة فاخرة أما هي فكان لديها فرس واحدة ولكن من يدري ؟ فقد يتفوق ماستضعه من

صغار على كل جياد هذه الإصطبلات ؟ عندما تركت المكان مع "سوني" تساءلت عما كان من الممكن أن تصل إليه الأمور لو ظلت معه .

###

مر أسبوع آخر وكان الروتين اليومي يعجب "ديبي" ففي كل يوم بعد الظهر تقضي ساعة أو اثنتين مع "دستي" تلعب الورق أو تسمعه يحكي عن أمجاده الماضية

ذكر الرجل طريقة استقراره كمرب للماشية وكيف أنشأ المزرعة وتحدث عن جياده المفضلة ...

وحدثها عن "ماكس" الثور الذي جرحه .

في الوقت الذي كانت فيه متزوجة بـ"سوني" لم يحدث أن جرت مناقشة من هذا القبيل مع "دستي" أو أي شخص كان . فقد كان "سوني" هو محور حياتها . واليوم "دستي" يقبل وجودها في المزرعة وكأنه شيء طبيعي . إنه لم يطرح أي أسئلة . وقد هزمته عدة مرات في الورق.

وفي يوم ما فاجأها وهي تراقب "سوني" من النافذة وسط مباراة . قال وهو يسترخي وسط وسائده .

- إن "سوني" لم يفعل أبدا الأشياء مثل الآخرين، لقد أصبح مختلفا بعد رحيلك وكأنه نضج . لقد أتى لرؤيتي وتصالحنا في تلك الفترة حتى عندما تمسك بأن يسكن بمفرده . لقد أراد أن يبقى بعض الوقت أكثر في دوائر حلبات "الروديو" ثم في يوم ماعاد وقرر الاستقرار هنا . لقد كان "توم" من النوع الهادئ رغم أن "سوني" تمرد أكثر من مرة . أما بالنسبة لـ"بن" فيمكننا القول: إن هذا الصبي له حقا قلب من ذهب .

سألته "ديبي" وهي تدرس أوراق اللعب في يدها :

- أين "توم" في هذه اللحظة ؟

لم يجب "دستي" ورأت وجهه يشحب وفهمت أنها طرحت سؤالا

www.elromancia.com

لاداعي له .

قالت وهي تضع أوراقها :

- لقد كسبت .

رفع "دستي" الأغطية فوقه وظل يفحص السقف فترة وهو يتنهد ثم قال :

- لقد بدأت أشعر بالتعب يا ابنتي الصغيرة وأعتقد أنني سانام قليلا وسنستانف ذلك فيما بعد - طبعا يا "دستي" وليس عليك إلا أن تناديني عندما تحتاج لشيء .

جمعت الورق وخرجت . وفي الدهليز أطلقت زفرة طويلة وهي تستند على الجدار . هذا إذن ما تظنه صحيحا . لم يكن "دستي" مركزا على لعب الورق .

###

نادرا ما كانت "ديبي" تبقى في المطبخ عندما لا تكون "هالي" فيه. لم تتصور أن يكون لديها صديقة أفضل منها . وكان مرح ومزاج "هالي" موجودا دائما ليسري عنها ويطرد الأفكار القاتمة وكانتا دائما ما تتحدثان عن أمور لم تتح لها فرصة الحديث عنها من سنوات طويلة . أعطتها "هالي" أخبار الناس المجاورين والفضائح الصغيرة التي هزت الأخبار المحلية وأحيانا كانتا تتحدثان عن "سوني" قالت لـ"هالي" في يوم ما وهما تقومان بغسيل الملابس :

- لابد أنك سمعت عن "سوني" ونسائه بعد افتراقنا .

سألتها "هالي" ردا على سؤالها

- وهل هذه اتهامات توجه ضده ؟ لم تنجح فتاة حتى الآن في أن تسلب قلبه .. وهذا مايهمني .

سألتها "ديبي" فجاة :

- أين "توم"؟

أجابت وهي تخرج الغسيل من الغسالة :

- لست أدري يا قلبي . لقد عاد "سوني" إلى هنا من ثلاث سنوات وقد تشاجر هو و"توم" لسبب لا أدريه . وبعد شهر أعلن "توم" أنه سيترك المزرعة وسيعمل مع شركة بترولية على الجانب الآخر من المحيط وهو يرسل من حين لآخر بطاقة بريدية ولكنه لم يعد من يومها . كيف أمكن لـ"سوني" أن يعتقد أن "توم" وانت ...؟

سكتت فجاة . نظرت إليها "ديبي" مذهولة . إذن الناس يصدقون الإشاعات التي دارت . قالت هيلي :

- آسفة ! إن ماحدث بينكما ليس من شأني . إن الناس يتكلمون كالعادة دون أن يعرفوا شيئا . حسنا يجب علي الآن أن أصعد بالدواء إلى ذلك الدب العجوز إلى اللقاء .

ردت "ديبي" وهي شاردة : إلى اللقاء .

الفصل الخامس

بعد ظهر نفس اليوم دخل "سوني" المطبخ وابتسم لها فترة طويلة، لم تجد معها إلا أن تتوقف عن غسل المواعين وتستدير إليه وتضع يديها في وسطها .

قالت تسأله وكان صبرها نفد :

- ماذا ؟

أثر التراجع ببطء نحو الباب وقد خفض رأسه دون أن يكف عن الابتسام . مسحت "ديبي" يديها وتبعته . كان الفتية جميعهم مصطفين في الخارج وكأنهم حرس شرف في انتظارها . عندما هبطت درجات الفناء تفرقوا بلا انتظام ليفسحوا لها الطريق وشاهدت شيئا ما ورديا .

إنه ذلك الوحش الذي كانت تدعوه "بيبي" منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها ولكن "بيبي" كان اليوم شديد الوهج والاحمرار ويبدو كقطعة من التحف المعروضة في المتاحف .

اندفعت "ديبي" نحو السيارة وأخذت تربت عليها بيدها فوق غطاء الموتور حتى الزجاج الأمامي . كان الطلاء جديدا وكانت السيارة "رامبلر" مزودة بغطاء سقف متحرك جديد يضوي .

بدأ أحد العمال يصفق بيديه وقلده الباقون همهمت "ديبي" بصوت مخنوق :

- شكرا حقا !

وصلت "هالي" في الوقت المناسب لتنقذها من هذا الوضع المحرج ودعت الجميع للذهاب للمطبخ لتناول الطعام . أما "سوني" فلم يتحرك من مكانه .

صعدت "ديبي" إلى سيارتها ووضعت يديها على عجلة القيادة ثم نظرت إليه بطريقة غريبة . تقدم إلى السيارة ومال على النافذة المفتوحة وسألها .

- هل أنت توشكين على البكاء يا "ديبي" ؟

لم تجب في الحال ثم قالت وهي تمسح دموعها :

- وبعد ؟

قال مقترحا وهو يحس بسرور واضح :

- خبريني ما رأيك أنت في .. أن نقوم بجولة ؟

رفعت الشابة عينيها نحوه وظهرت ابتسامة خفيفة على جانب فمها ثم أعلنت :

- اتفقنا .

لم يتجاوزا حدود المزرعة ولم يتبادلا كلمة واحدة طوال مشوارهما ولكن "ديبي" قالت في نفسها : إنها لن تنسى أبدا تلك اللحظات

###

كانت الأمسيات في المزرعة أكثر برودة من النهار وقد استغلت "ديبي"

www.elromancia.com

ذلك لتقوم بنزهات طويلة بعد العشاء . كان بالنسبة لها لايوجد في العالم ماهو أجمل من غروب شمس "تكساس" ، وكانت الألوان تتغير بلا انقطاع وتمثل في ذهنها لوحة لبحار الجنوب . وكانت تلك أكثر اللحظات جمالا بالنسبة لها طوال اليوم. وفيها تترك العنان لذهنها ان يسترجع ذكريات الطفولة قبل موت أمها وقبل أن تقابل "سوني" .

عندما كانت مراهقة كانت واثقة بامور كثيرة وكانت مقتنعة للغاية أنها لن ترتكب نفس الغلطة التي ارتكبها والداها . وكانت واثقة تماما بانها ستصبح زوجة مثالية وأما لستة أطفال . وفي أحلام ذلك الوقت كانت ترى نفسها تعيش بصحبة زوج يقدم لها الزهور ويعبر لها كل ليلة عن حبه . وكانت أحلامها تتكرر على فترات متقاربة ولكن يبدو أن تلك الأحلام تراجعت أمام صعوبة الحياة والواقع اليومي .

لقد كانت حياة المزرعة الخاصة بوالدها في البداية حلوة ومليئة بالأشياء التي تحبها مثل والديها والحيوانات ولكن بعض الامور تغيرت .

عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها بدأت المعارك والمشاغبات بين أبيها وأمها تصبح منتظمة وتزداد عمقا ودائما حول نفس المشاكل . في يوم كان السبب مثلا أصبع أحمر شفاه يضع والدها في موقف مثير . ومرة تعلم أمها أنه زار "أونيل" ...

- لقد كان والدها فتى حليما وكان مؤمنا بان الرجل الحقيقي لم يخلق من أجل امراة واحدة في حياته ولم يكن الإخلاص في الزواج يعني شيئا بالنسبة له .

بعد عامين من موت أمها لم يعد كما كان فقد عاد إلى عواطف الشرف ولكن بعد فوات الوقت . ووقتها مع ذلك ارادت "ديبي" أن تسعده ولم تنفر من أية أعمال تتطلبها المزرعة وتعلمت كل ما تستطيع عن الجياد .

وفي سن السادسة عشرة بدأت متاعبها ، وفي تلك السن تعرفت على "سوني بيرتون" .

كان راعي البقر الذي تحلم به كل البنات وكن لا يتعبن من العراك حوله . ومن أول نظرة وضعت عينيها عليه أحست بانوثتها. لقد اعترف لها بانها أكثر الأشياء التي اشتهاها في حياته . دخل معها في أحد الأيام إلى مقهى وتناولت لأول مرة الشراب مع شاب .

أحست بانها ناضجة بجواره وأنها مهمة والأهم من ذلك انها أحست بانها ذكية . إنه ينصت إليها وهي تتكلم وهي تحب الكلام عن الحياة في المزرعة وعن الجياد وكانت الأحاديث تستمر ساعات وبدا أن "سوني" يهتم دائما بما تقوله ، وعرفت "ديبي" ايضا انهما متحابان .

وفي سن الثالثة والعشرين كان "سوني" يبذل كل مايمكن للهروب من سيطرة والده عليه وحتى لايصبح نسخة طبق الأصل من روح "دستي بيرتون" لقد كان مجنونا بحب فتاة ذات شعر اشقر ومجنونا بـ "الروديو" وعندما عاد إلى حلبات سباق "الروديو" طلبها للزواج وهربت معه .

إنها تذكر أيضا الليالي التي قضياها في العراء والمدن التي انتقلا بينها بسرعة مخيفة والمغامرات التي عاشاها طوال تلك الجولات ، كان كل شيء يسير بطريقة رائعة إلى أن حدثت أول إصابة لـ"سوني" لقد انكسرت له ثلاثة ضلوع ورسغ . وأصيبت "ديبي" بالرعب لما حدث . حتى إنها اتصلت بوالدها الذي اتصل بدوره بـ"دستي" وخلال ساعات امتلأ المستشفى بال "بيرتون" . ثار "سوني" ثورة عارمة وسرعان ما رحلت العائلة وانقلب عليها :

هل أعطاك نقودا ؟

كانت "ديبي" تعرف مدى اعتزاز "سوني" بنفسه ولكنها لم تعرف ماذا

تفعل عندما قلب "دستي" السماء على الأرض ليدفع كل المصاريف . ولم تعرف كيف تقول ذلك لـ"سوني" .

– لقد دفع حساب "الموتيل" .. "والمستشفى" .

أمرها قائلا .

– ردي له مادفعه ولن أهتم لو عرفت أنك بعت الشاحنة أو الجواد "باكو" لسداد ذلك .

ونفذت طلبه . ثم تحسنت الأحوال بعد ذلك . وجدت "ديبي" عملا انتظارا لشفاء "سوني" ثم سرعان ماعادا إلى حلبات السباق .

اشترك "توم" الأخ الأكبر لـ"سوني" أيضا في المباريات وكانت تلك أفضل فترة . كانوا يلعبون الورق ويرقصون ويتنزهون بلا انقطاع . كان كل شيء يسير سيرا رائعا لولا أنها حملت . ولم تعرف بذلك إلا عندما أسقطت حملها ، كانت هي و"توم" يقومان بنزهة فوق الجياد في ذلك اليوم بينما كان "سوني" ينهي عملا عاجلا في مزرعة بالجوار . أصيبت فجاة بتقلصات رهيبة وهي فوق السرج ونقلها "توم" في الحال إلى المستشفى ولكن الوقت كان قد فات .

لم تنس أبدا نظرة "سوني" عندما وجدها تبكي بين ذراعي شقيقه ولا نظرة الشك في عينيه في تلك اللحظة ولم تسامحه على ذلك .

تركته واستقرت في "هيوستون" في حجرة بيت الطالبات ووجدت عملا في الجامعة . وبعد ست سنوات حصلت على البكالوريوس . لماذا يحدث أن تلتقي به في مقهى "لون ستار" ؟ وماذا سينتج عن كل ذلك ؟

###

تمادت في إحدى الأمسيات في نزهتها أكثر من المعتاد ووصلت إلى براري الأعشاب العالية البعيدة جدا عن نقطة البداية وقررت أن تعكس الطريق . عادت بخطوات بطيئة وهي تغني لحنا عاطفيا يدور حول

الأمهات اللاتي لايجب أن تتركن أبناءهن ليصبحوا رعاة بقر للمغني الشهير "ويلي نلسون" ثم وصلت بسرعة إلى حاجز لم تتذكر وجوده من قبل .

دفعت بوابته ثم أغلقتها وراءها ورفعت عينيها إلى السماء . كان النجم القطبي ظاهرا هناك حيث تعشمت أن تجده . إنها إذن في الاتجاه الصحيح .

خطت بضع خطوات أخرى وأحست بشيء ما لاتعرفه . أحست فجاة بحركة خلفها فادارت رأسها ورات على بعد خمسة عشر مترا منها كتلة سوداء تلمع تحت ضوء النجوم .

انقطعت أنفاسها وأفلتت منها صرخة مكتومة .

– ماكس ...!

بحثت في جيبها فلم تعثر على ماتقدمه له .. أي شيء يمكن أن يمنعه من الهجوم على تلك الغريبة والمتطفلة على مملكته . كان واقفا شبه ساكن بينها وبين السياج بينما كان رأسه وقرناه تهتز في بطء . تراجعت في حذر وفكت أزرار بلوزتها وخلعتها ثم أمسكت بقطعة القماش البيضاء على جانبها الأيمن ودعت السماء أن تتمكن من الدخول إلى آخر السياج قبل أن ينطحها . كانت تحس به قبل أن تراه . اندفع "ماكس" نحوها مباشرة .

ودون أن تتحرك تركت بلوزتها البيضاء تطير في الهواء وانتظرت كمصارعي الثيران لآخر لحظة لتنحرف بسرعة إلى اليسار . لقد كان ضخما للغاية ! انتزع قرناه القميص من يديها وتمزق كقطع من الورق .

أصيبت "ديبي" بالرعب ثم بدأت في الجري نحو السور وفي نفس الوقت شاهدت جوادا وفارسا وصلا إليها عدوا . انزلقت في آخر لحظة إلى الجانب الآخر من السور . دار "سوني" نصف دورة وامسك "بماكس"

من قرنيه عن طريق الحبل وجذبه إلى اليمين . تعثر "باكو" وقفز "سوني" من فوق الجواد قبل أن يترك الحبل . زمجر وهو يقترب من "ديبي" .

- أيتها اللعينة .. كيف يمكن أن تكوني بهذا الغباء ؟

تلعثمت :

- أكون بماذا ؟ إنني لم أشاهد أي لافتة أو أي شيء يدل على وجود "ماكس" خلف هذا السور .

ظل "سوني" يسب ويلعن وذراعاه حولها .

- كيف استطعت أن تلوحي بقميصك بهذه الطريقة ؟

كيف أمكنك أن تثيريه إلى هذه الدرجة ؟

تجهمت وحاولت أن تتخلص من قبضته .

- يا إله السماوات ! هل اعتقدت أنني كنت ألعب مع هذا الحيوان ؟

فجأة وقفت عينا "سوني" على صدرها شبه العاري بعد أن نزعت قميصها فنسي ماكان يريد أن يقوله وخلع سترته بعد لحظة تردد وناولها إياها . ثم نفض الغبار عن بنطلونه الجينز وعاد نحو - باكو - وهو يعرج وقفز فوق السرج . قال لها وهو يمد يده حتى تصعد خلفه :

- حسنا .. ماذا تنتظرين ؟

ارتدت "ديبي" السترة على راحتها وأخذت تزررها قبل أن تصعد فوق ظهر الجواد خلفه ثم لفت ذراعيها حول وسطه والتصقت به في اللحظة التي دار فيها "باكو" نصف دورة .

وصلا المزرعة بعد عدة دقائق . وقاد "سوني" الجواد - باكو - أمام البيت وساعد "ديبي" على النزول إلى الأرض وكل ماقاله عندما وضعها أمام الفناء:

- لا تقتربي أبدا من "ماكس" بعد اليوم .

قاد "باكو" بعد ذلك إلى الإصطبلات . وعندما أصبح على بعد مسافة منها رفعت "ديبي" ياقة السترة ودست فيها وجهها وهي تشم رائحته الرجولية .

###

خلال الأسبوع التالي ذهب "سوني" لثلاثة أيام إلى "هيوستون" في عمل . وهناك لم يفكر إلا في "ديبي" . فكر في التغيرات التي حدثت لها وله وتساءل : إن كان سيجدها في المزرعة عند عودته. كان لايستطيع أن ينظر إليها إلا ويفكر في أن يأخذها بين ذراعيه . كانت كل خلية في جسده تنادي اسمها . هل يمكن أن يكون قد وقع في حبها مرة ثانية ؟ إنها مختلفة وبدت أكثر قوة وأقل ضعفا وخوفا أمام الحياة . ولديها ثقة الآن بنفسها بدرجة تذهله مقرونة بروح الدعابة لاتقاوم . ثلاثة أيام وهاهو يتحرق شوقا ، لأن يراها .

وفي نفس الوقت تأخر الرجال في العمل وما إن عاد حتى امتطى الجواد البري الذي ألقى به وجرحه مرة ثانية في ركبته . وفي نفس الأمسية كانت "لوسي" تقوم بزيارة "ديبي" في الإصطبلات حيث وجدتها شبه نائمة . همست كلمات رقيقة وهي تقترب منها . كانت قد أحضرت لها تفاحة فأخذتها الفرس - بعد أن مدت رقبتها - في فمها برقة . لقد كانت "لوسي" هي الحنان والإخلاص والتفاهم . فكرت أن الحيوان غير قادر على الخيانة .

أعطتها بعض العلف والماء وأغلقت عليها الحاجز وادارت لها ظهرها وهي تتمنى لها ليلة سعيدة .

عندئذ شاهدت النور في حجرة السروج . لم يمنعها شيء من أن تذهب لتلقي نظرة وبينما هي تقترب تعرفت على صوت "سوني" يهمهم شيئا ما دفعت باب حجرة السروج حيث وجدته خلفه فذهلت

- سوني!

كان جالسا على أريكة خشبية في المكان المعلق فيه قطع اللجام والركاب وقد تمزق ساق بنطلونه حتى أعلى الفخذ . وقعت عينا "ديبي" في الحال على الكدمات البنفسجية حول ركبته اليمنى وبجواره وجدت سرنجة حقنة وزجاجة كحول مطهر شبه خالية .

- أوه يا "سوني" !

اتجهت نحوه :

- إن ركبتك لاتسر الناظرين .

- "ديبي" ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

- لقد اتيت للعناية بـ"لوسي" .

ركعت بجواره وسالته :

- هل انت بخير ؟ هل استدعي "هالي" ؟

كان صوتها مليئا بالحلاوة والحنان . إنها لاتدري بمدى الراحة التي تسببها له ورغم آلامه الشديدة فقد ابتسم لها في حنان . أجاب على سؤالها .

- ياإلهي ! لا .. كل شيء إلا هذا . يجب أن ألزم الفراش أسبوعا وهناك الكثير من العمل .

قالت "ديبي" وهي تنظر إلى جروحه :

- إن الفكرة ليست سيئة على الإطلاق .

كانت تود لو مدت يدها وتلمسه ولكنها وجدت مدى خطورة الحالة مما زاد من الألم الذي تحسه قال وهو يرفع عينيه نحوها :

- إنها ليست طيبة ولكن كل شيء سيتحسن غدا .

- إن جرحا مثل هذا هو الذي جعلك تترك الحلبة ؟

- نعم .. إنه يحدث كثيرا مع مرور الأيام .

ساد الصمت ثم قالت :

- حسنا .. أيا كان الحال فلابد من أن تعالج هذه الكدمات هاهي مرة أخرى تتكلم بصوت له حلاوة العسل . لقد كانت فاتنة للغاية وهي راكعة بجواره ونظراتها قلقة وشعرها الأشقر منكوش وينسدل على كتفيها . مد يده وامسك بخصلة بين أصابعه ليحس بنعومتها :

- إنني أعشق هذا الشعر .

أحست "ديبي" بخديها يحمران تحت تأثير هذه المجاملة .

أشاح مع ذلك برأسه باحثا عن شيء ما . قال لها وهو يشير باصبعه إلى قطعة أثاث خشبية بها درج وحيد :

- هل يمكن أن تفتحي الدرج وتعطيني الزجاجة الموجودة داخله؟

نهضت وفتحت الدرج وأخذت زجاجة سائل وإن شكت في انها زجاجة شراب قوي . تحولت نحوه .

- أوه .. لقد فهمت ياراعي البقر .. ليست أمامك أي فرصة فليست هناك أكواب .

ابتسم :

- مستحيل ! كما تحب .

ناولته الزجاجة فشرب منها عدة جرعات ثم استرد أنفاسه بعد أن فعل المشروب مفعوله ثم ناولها الزجاجة وهو يتأملها وكأنه يتحداها أن تشرب . ترددت لحظات ثم احتست بدورها بعض الجرعات .

- بعض جرعات أخرى وتستطيعين أن تعطيني هذه الحقنة نظرت إلى السرنجة باستغراب فسألها وهو يشرب بعض الشراب المقوي :

- ألم تتعلمي كيف تعطين حقنة ؟ حسنا يبدو أن علي أن أقوم بذلك بنفسي .

صمت وتأملها بعمق ثم ابتسم وقال :

- يمكنك ان تشيحي بنظرك ولن أخبر أحدا

قالت "ديبي" :

- لا .. إذا اردت ان تاخذ هذه الحقنة في ساقك على الاقل يمكنني أن اشاهدك .

ركعت مرة اخرى على ركبتيها امامه واستندت على ركبته السليمة . امسك بالسرنجة وهو يبتسم ثم تامل الإبرة ثم غرسها في الركبة . قطبت "ديبي" وجهها ولم تستطع ان تمنع نفسها من غلق عينيها عندما طالت مدة العملية . اعادت فتحهما عندما احست بيد "سوني" تستقر على ذقنها .

- هاي ! كل شيء على مايرام . أليس كذلك ياعزيزتي ؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ورفعت عينيها نحوه واجابت وهي ترتجف ووجهها ممتعض :

- إنني اكره الحقن .

تاهت لحظات وهي تتامل جسده القوي . إنه مثال للرجولة الحقة وهو قوي وصلب . لم يستطع اي شيء ان يلقي بالمتاعب داخلها مثل منظره .

ظلا ينظران لبعضهما بعضا بعمق . لقد احست بحرارة الذكريات واضطرب قلبها وانقطعت انفاسها وحاولت جاهدة ا ن تلملم شتاتها ، همست له :

- "سوني" .. اعتقد انه من الأفضل أن اصحبك واساعدك على العودة للمنزل الآن .

قال لها وهو يداعب ذقنها .

- انت رائعة .. رائعة .. اكثر من رائعة .

الفصل السادس

كانت "ديبي" ثائرة . لقد مرت ايام كثيرة منذ لقائها مع "سوني" في حجرة السروج وكانت تنتظر إشارة منه وإلا فستواجه عواطفها أو على الأقل تنتظر منه تفسيرا لمسلكه نحوها . ولكنه لم يقل ولم يفعل شيئا .

لقد تطلب علاج ركبته وقتا هذه المرة حتى تشفى وكان يصل كل يوم إلى المطبخ بعد دقائق من بدء "هالي" واخيه الغداء ويناقش مع "بن" العمل اليومي ثم يرحل دون ان ينظر إليها .

وفي المساء ياتي ايضا متاخرا على العشاء ويختفي فور الانتهاء من تناوله . أين يا ترى كان يذهب ؟ كانت اكثر الأفكار جنونا تتصارع في ذهنها . ما الذي يخفيه ؟ هل يقابل امراة اخرى ؟ لقد وصل بها الأمر أن اكتفت من لعبة القط والفار .

في الحقيقة كان "سوني" متوترا مثلها ولكن لسبب مختلف . اكثر من مرة كان على وشك أن يصارحها بالحب ولكن في كل مرة كان الأمر

www.elromancia.com

يتحول في الحال . لقد عرف عشرات النساء منذ افتراقهما ولكن مغامرات الليلة الواحدة انتهت بكرهه للنساء و"ديبي" وحدها التي استطاعت أن تحيي رغبته مرة ثانية . إنها تفعل به أكثر من الجاذبية وإنما كانت تعطي معنى لكلمة الحنان والرغبة في حمايتها وكل ذلك زاد الطين بلة .

لو صارحها بالحب لأصبح من حق "ديبي" أن تأمل في أمور معينة ليس واثقا بانه يستطيع تحقيقها بعد الذي حدث بينهما . كيف يمكنه أن يعيد ثقتها به ؟

ولكن يكفي أن تدير له ظهرها حتى تطاردها عيناه كالعاشق الولهان . إن ذلك أقوى من إرادته .

كم من الوقت يستطيع أن يقاوم ؟

###

ساله "بن" في صباح يوم من الأيام بقلق واضح .

- ما الذي لايسير سيرا حسنا يا "سوني" ؟

من أيام كان "سوني" يجمع الأخطاء والإهمال وحتى في الليلة السابقة أوشك أن يصيب "بادي" بعد أن ألقى في وجهه بالشوكة . واليوم السابق على ذلك أصاب أصبعه بالمطرقة وهو يصلح السياج وفي نفس اليوم نسي أن يغلق حاجزا في الإصطبل خلفه. خمن "بن" أن هناك شيئا لايسير على مايرام . ألقى نظرة حوله ليتاكد أنهما بمفردهما في مخزن الغلال قبل أن يستانف استجوابه :

- خبرني هل تعاني المزرعة من متاعب ؟ هل أبي مريض أكثر مما نظن ؟ إن لي الحق في أن أعرف .

قطب "سوني" وجهه . لم يكن لديه أي عذر يقدمه له أو على الأقل عذر مقبول .

- كل شيء على مايرام يا "بن" أبي بخير و"هالي" يمكن أن نؤكد ذلك لك. أما بالنسبة للمزرعة فلا داعي للقلق .

خلع قبعته ومرر أصابعه في شعره . قال "بن" وقد بدا عليه السرور :

- أوه !

تصلب جسم "سوني" فجاة وساله :

- ماذا تعني أوه هذه ؟

- حسنا .. لا أرى إذن سوى أمر واحد : متاعب مع امراة . ولو أردت رأيي فإن الأمر ليس بهذا السوء إذا ما أخذنا في الاعتبار من انها المراة.

- هل يمكن أن تغرب عن وجهي ؟

ولكن "بن" لم يتحرك واكتفى بالضحك .

لم يكن "سوني" يحب أن يكون موضع سخرية من أخيه . ثم أليس هو الذي علمه كل شيء عن الرجال والنساء ؟ تابع "بن" حديثه بطريقة أكثر جدية :

- اسمع يا "سوني" لايمكن أن تتصرف بهذه الطريقة بسبب ماتعتقد أنه حدث من سنوات بعيدة . إن من يراك يعتقد أنك ترتدي ثياب الحداد أيها اللعين !

هل أعدت الحديث عن كل ذلك مع "ديبي" ؟

هز "سوني" رأسه نفيا . ثم قال "بن" .

- لا .. طبعا .. ولم نتحدث أيضا عن الأمر مع "توم". استند "سوني" على باب مخزن الغلال وقال :

- ألم ترحل هي ؟ و"توم" ألم يرحل هو الأخر ؟

ماذا تحتاج أكثر من هذا ؟

- إنه كان على استعداد للعودة في اللحظة التي تطلب منه ذلك. إلى

www.elromancia.com

متى ستظل تعتقد انك وحدك الذي تعرف يا "سوني" ؟ إنك عنيد كالبغل! متى تقرر أن ترى الأمور على حقيقتها ؟

شدد "سوني" قبضته وتقدم نحوه وقد اوشك أن يفقد برودة أعصابه . إنه لايسمح لأي إنسان أن يحدثه بهذه اللهجة . ومع ذلك اخذ نفسا عميقا وهو يحاول السيطرة على عدوانيته قال :

- الحق معك .. لايستطيع المرء أن يعرف كل شيء .

القى نظرة حوله ثم اضاف :

- دعنا لانتحدث في ذلك بعد الآن ولنته أعمالنا .

###

أخذ "سوني" يقلب كلمات "بن" في رأسه حتى مساء يوم الجمعة ثم قرر الذهاب للقاء "ديبي" .

كانت الساعة الحادية عشرة عندما طرق الباب . اعتقدت انها "هالي" وقد احضرت لها كريم الأيدي ، ففتحت الباب دون تردد . وكانت ترتدي روبا منزليا خفيفا من الحرير الساتان الوردي . تاملها "سوني لحظات طويلة بعمق شديد وكانه لايصدق عينيه . لقد كانت رائعة الفتنة . تجهمت وتعمدت الدهشة لتداري حرجها وهي امامه في هذا المنظر :

- "سوني" ؟ هل لديك ماتريد ان تحدثني فيه ؟

- إيه .. نعم .

اضطر لأن يرفع عينيه وسالها :

- ماذا ستفعلين مساء غد ؟

قالت وهي تشد قامتها :

- لماذا ؟

- أريد .. أن .. اصحبك إلى حفل صغير .

رفضت الشابة بسرعة واتت بحركة لغلق الباب .

- لا .. شكرا ولكني شاكرة انك فكرت في دعوتي .

- إذن لماذا لا ؟

- لأن ذلك .. لامعنى له .. هذا كل ما هناك .

كانت في هذا تقلد فتاة قابلتها في احتفال كان "سوني بيرتون" مدعوا إليه . بالإضافة إلى رد الفعل الذي أحدثه على كل منهما عندما ظهر في الحفل . قال :

- حسنا .. في هذه الحالة دعيني ادعوك على العشاء وهناك يمكننا أن نشاهد فيلما معروضا في المدينة .

لم تستطع ان ترفض . فلم يترك لها فرصة لتفعل .

كانت على وشك أن تساله عن سبب رغبته في الخروج معها ولماذا تجاهلها في الأيام الأخيرة ؟ ولكنها رات في عينيه الزرقاوين شيئا ما جعلها تتراجع وتهمهم .

- ... موافقة .

- السابعة ؟

- حسنا .

كانت على وشك أن تغلق الباب عندما فكرت فجاة في امر ما :

- أوه .. لست أريد .. اعني لست اريد فيلما خياليا .

- حسنا .

في هذه اللحظة كان بإمكانها أن تطلب منه اي شيء .

همس :

- "ديبي" !

رفعت عينيها وراته يبتسم :

- ماذا ؟

- هذه الملابس .. التي ترتدينها .

عضت على شفتها وحاولت أن تكتم ضحكتها وقالت :

- سأرى مايمكن عمله بشانها . هيا إنني لا أستطيع أن أراك أكثر من هذا الآن .

ثم أغلقت الباب في وجهه . ظل "سوني" مسمرا في مكانه لحظات طويلة وقد أغلق عينيه ليحتفظ في ذهنه بالصورة الجميلة التي رآها لتوه .

***

فكرت "ديبي" في البداية أن تذهب مع "هالي" لشراء ثوب ولكنها لامت نفسها في الحال ، لأنها فكرت في التأثير على "سوني" . إنه يعرف تماما من هي وما هي عليه وإنها في حاجة إلى نقود . إنه هو الذي يوقع شيك أجرها الذي تتلقاه كل جمعة .

ولايمكن أن تتستر على هذا الأمر .

ومن ناحية أخرى إنها تمتلك ثوبا صيفيا يمكن أن يقوم بالمهمة على خير مايرام وإن كان مفصلا بالطريقة الكلاسيكية ولكنه يظهر تقاسيمها بطريقة ممتازة . ثم لديها صندل لائق يمكن أن يحدث التأثير المطلوب . اهتمت بتمشيط شعرها وذلك استدعى وقتا أطول من المتوقع. ما إن انتهت من تعطير نفسها حتى طرق الباب .

نظرت إلى نفسها بسرعة في المرآة وتنفست بعمق وفتحت الباب. بدا لها "سوني" هادئا وإن كان متصلبا بعض الشيء . أما من ناحيته فقد رأى الفتاة التي عرفها من سنوات طويلة وأحس بالاضطراب .

همهم وهو منفعل :

- أنت .. رائعة !

إنه لم يقل "جميلة" أو "فاتنة" أو ساحرة وأحست "ديبي" بالسعادة .. لقد قال رائعة وهي إذن رائعة في عينيه . ثم لماذا لا تكون رائعة على أية

حال ؟ لقد تعلم "سوني" أخيرا أن يقول مايناسب النساء . لقد بدأت تؤمن بامرين في وقت واحد يجب ألا تفسد الحلم . من أجل بضع دقائق من الامسية تريد على الأقل أن تعيش ذلك الحلم . وعندما ينتهي كل شيء فإنها تعد نفسها ألا تنسى كل ذلك وتستانف حياتها العادية .

يكاد الدهليز يكون مضاء وتطلب الأمر بضع ثوان من "ديبي" حتى تميز الملابس التي كان يرتديها "سوني" .

وهي حذاؤه البوت ذو البوز مثل "الكوبرا" وچينز أزرق داكن وقميص إسكتلندي مربع ومطرز وقد ثني كميه عدة طيات .

عندما نظرت إلى عينيه الزرقاوين دهشت عندما تبينت مدى عمقهما وذلك البريق . لاشك أن ذلك يرجع إلى لون بشرته البرونزية ولكن تلك الزرقة تشبه بحيرة جبلية وهي قادرة على الفتنة على أية حال . قال :

- مرحبا .

قالت "ديبي" .

- صباح الخير .

مد يده وأمسك بذراعها وقال :

- هيا بنا .. أكاد أموت جوعا .

تبعها حتى السيارة "اللنكولن" السوداء وفتح لها الباب . جلست في المقعد الأمامي وانتظرت وهي خافضة عينيها إلى أن جلس خلف عجلة القيادة. كانت رائحة الجلد تسري داخل السيارة وبدا وجود "سوني" الحار بجوارها وقد شحن الهواء بالكهرباء . سرت داخلها مشاعر جميلة وأخذت "ديبي" تطرق على ركبتيها في عصبية والسيارة تشق طريقها وقد انفتحت النوافذ الزجاجية وسط حرارة الليل.

راقبها "سوني" بطرف عينه وهو سعيد ومتأثر ومضطرب بعض الشيء ولا يشعر بحاجة إلى الإسراع إلى الوصول .

قال برقة:

- لقد طلبت مني شيئا غير طبيعي وأرجو الا تغضبي.

كانت تحب دائما أن تراه هكذا اقل ثقة بنفسه وبحركاته وبها هي ايضا.

- لن اغضب.

صحبها إلى مطعم "كتشن سام" وهو مطعم صغير محلي كل ما فيه بسيط. والموائد كانت مغطاة بمفارش حمراء مربعات عليها وضعت في الوسط شمعة مضاءة . وفي نهاية القاعة يوجد صندوق موسيقي يعمل بالعملات المعدنية ويذيع بعض الأغاني الشعبية القديمة من نوع "الكونتري".

وصلا مبكرين بالنسبة لمساء السبت وكان المطعم شبه خال. منحهما صاحب المطعم مائدة في مكان خفي وهادئ واحضر لهما زجاجة فاتحة للشهية ثم تلقى طلبهما. استطاعت "ديبي" أن تقود "سوني" إلى الإفصاح عن أحداث السنوات الخمس الأخيرة. قال شارحا وهو يشرد ببصره قليلا:

- لا يوجد ما هو أحسن من تلك العاطفة التي يحسها المرء بانه على قمة فنه. ويربح في الحلبة .

احبت طريقة لمعان عينيه وهو يحكي ذكرياته:

- لقد كانت النقود ممتازة ولكنها كانت تتسرب من بين أصابعي. ثم رؤية صورتي في الصحافة ومواجهة كل هؤلاء الناس بكاميراتهم وأسئلتهم. يا الله!

إنني اضمن لك انك لن تجدي وقتا لحك البشرة ...

ضحكت "ديبي" أمام هذه الصورة الهزلية رغم أن "سوني" ليس مثالا لراعي البقر التقليدي الذي يهرش ويبصق في كل مناسبة. تابع حديثه:

- والأسوا هو ان تكفي عن الثقة باي شخص كان وكل الناس يبدو كانهم ينتظرون منك شيئا.

زفر ووضع كوعه على المائدة:

- انت تعرفين ان هذا النوع من الحياة له وقته ويذهب وتحاولين التماسك لأكبر وقت ممكن ولكن سرعان ما تتغلب الجروح على مقاومتك.

لا تذكر "ديبي" انها راته من قبل شاردا في التفكير كما هو الآن وكذلك اكثر واقعية بالنسبة لما يحيطه من أمور .

سالته:

- هل انت سعيد في المزرعة؟ الا تشتاق لحياتك الماضية؟

- لقد اشتقت للروديو والمنافسات في البداية ولكن ما يحطم الرجل هو أن يذهب ليتراقص كل مساء رقصة "الكلاكيت" فوق ثور لأن ذلك أكل عيشه والمرء يفهم بسرعة انه لن يستطيع أن يستمر في هذا العمل حتى سن التسعين.. واليوم اتصور بصعوبة انني يمكن أن افعل شيئا غير ما اقوم به من عمل في المزرعة .

قالت "ديبي" تصحح كلامه بصوت شبه مسموع .

- اعتقد انك من الصعب أن تعترف بان اي شخص يمكنه أن يفعل شيئا آخر.

ثار "سوني" في الحال:

- انا آسف يا "ديبي" بالنسبة لما سبق ان حدث في ذلك المساء الذي التقينا فيه بعد غياب طويل. لقد كانت صدمة كبيرة أن أراك . وإنني لم..

- اكمل يا "سوني".

- أوه..

كانت تعشق أن تراه في هذه الحالة. قال:

www.elromancia.com

- لقد تسرعت في الحكم عليك.

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:

- لقد تحسنت شيئا فشيئا فمبارك.

وضعت يدها اليمنى على المائدة فامسك بها. قالت:

- هل أعتبر ذلك ما يسمى اعتذارا في صورة رسمية .

- أوه إذن ... حسنا.. ماذا كنت تدرسين عندما كنت في "هيوستون"؟ إنني أذكر انني سمعتك تتحدثين عن ذلك مؤخرا:

- الأدب الأمريكي المعاصر .

نظر إليها غير مصدق :

- بلا مزاح أرجوك ؟

أجابت بلهجة تكساسية سليمة ..

- نعم بلا مزاح .

- ماذا .. رجال مثل "روبرت لودلام" و"زين جراي" ؟

- الأحرى .. "اليس ووكر" و "توم وولف" .

بدا التفكير على "سوني" ثم سالها :

- ماذا تفعلين هنا يا "ديبي" ؟ كان بإمكانك القيام بالتدريس في أي مكان تحبين . لماذا عملت ساقية في مقهى "لون ستار" ؟

- هل تريد حقا أن تعرف ؟

- نعم وأحب أن تخبريني انت بذلك .

- حسنا .. هناك كومة من الأسباب لذلك .

تصلب جسدها ونظرت إلى بعيد وهي تشعر بعدم الارتياح ، ثم قالت شارحة :

- إن راتب التدريس ليس كبيرا كما تتصور وعندما عدت إلى هنا وجدت أن المزرعة .. مكبلة بالديون .

- لم أكن أعرف أن الأمور ساءت إلى هذه الدرجة في المزرعة .

- ولا انا كنت اعرف ولكن بمراجعة اوراق وحسابات ابي اكتشفت انه استنفد كل سنت من الرهن .

وعندما اخبروني وانا في الجامعة انهم ينتظرون انني ساتولى وظيفتي في اقرب وقت فهمت انه ليس لدي اي رغبة في العودة إلى "هيوستون" . كانت العودة إلى البيت مثل .. اوه ... لست ادري . لقد احسست فجاة ان حياتي لامكان لها . كان يلزمني الحركة والفعل وليست الأفكار . وسادني إحساس انني ابتعدت كثيرا عن الأمور التي تهمني أكثر .

لقد كانت لي هناك حياة اكثر ثراء وامتلاء .

مالت للأمام وعلت شفتيها ابتسامة حزينة .

- ثم هل تريد مني ان ابوح لك بسري ؟

ضغطت يد "سوني" على يدها وسالها :

- كيف ؟

- لقد كنت اريد دائما أن أعتني بمزرعة .

خفضت عينيها خوفا من أن تكتشف في عيني "سوني" عدم التصديق او السخرية . ثم استانفت :

- انت تعرف كيف كان ابي ، فقد كان يظن ان عمل المزرعة لايصلح للفتاة . او ربما كان يقول : إنه ليس مناسبا .. ولاحظ انه كان يسعده ان يتلقى مساعدة في هذا المجال من اي شخص كان. ولكن بالنسبة لي كان مكاني في المطبخ امام الأفران . إنه مثال لراعي البقر في الخمسينات ولايمكن ان يغير رايه شيء .

اضاءت ابتسامة وجهها ورفعت عينيها نحوه .

- ربما تعتقد انني اعجب باعمالك كل يوم في المزرعة ؟

نعم هذا حقيقي جزئيا ولكن السبب الرئيسي هو انني اعشق الجياد لدرجة الجنون . لم يحدث ابدا ان اعترفت وانا في سن الثامنة عشرة بذلك ، لأن الجميع كانوا يرددون انه ليس من الشرف بالنسبة للمرأة ان تعشق الجياد ولكني كثيرا ما كنت اتسلل إلى الحظائر في اقرب فرصة تتاح لي . ولهذا السبب بحثت عن شخص مثلك في ذلك الوقت . شخص يدعني افعل ما أريد حقيقة ان افعله .

هزت رأسها وكانها تطرد الذكريات التي تتصارع داخل راسها . ساد صمت طويل . قال "سوني" :

- حدثيني عن امر آخر ؟

- ماهو ؟

- من الذي ضربك في ذلك المساء في مقهى "لون ستار" ؟

عضت على شفتها .

- إنني لا أريد الإجابة على هذا السؤال .

ابتسم تلك الابتسامة التي تعرفها جيدا .

- هيا يا "ديبي" ! ليس هناك أي سبب لان تتضايقي .

- مرة ثانية من فضلك .

وافقها اسفا وهو يبتسم رغم ذلك .

صحبها بعد ذلك إلى مقهى "شارلي" وكانت المجموعة الموجودة هناك ممتازة كما كانت حلبة الرقص ممتلئة .

تسلل "سوني" و"ديبي" بين الراقصين . لقد كان ينتظر هذه اللحظة من ساعات طويلة . اسندت راسها على كتفه واستطاع ان يشم عبير الربيع في شعرها . ابتلعت "ديبي" ريقها بصعوبة وظلا يرقصان مدة ساعة ثم دفعا الحساب وخرجا من المقهى .

الفصل السابع

سمعا صوت ضحكات فجاة من نوافذ سيارة وصلت إلى ساحة انتظار السيارات امام المقهى . كانت اضواء الكشافات مسلطة عليهما وهما على وشك ركوب السيارة فادارا وجهيهما في الحال بعيدا عنها .

دعت "ديبي" الا تقف السيارة بجوارهما عندما سمعت وسط الثرثرة والضحكات صوتا تعرفه إنه "سارة" جان تورمان" التي كانت فارسة شهيرة قبل ان تحصل "سارة" على موافقة والدها لركوب الخيل . لقد استطاعت سارة ان تحقق كل امنياتها . لقد رحلت للدراسة في الشرق وقامت بالعمل كعارضة ازياء في "نيويورك" خلال عدة سنوات قبل ان تعود لبيتها .

اختلست "ديبي" نظرة من فوق كتف "سوني" ورات ان سارة يصحبها ثلاثة من اصدقائها امراة ورجلين .. تعرفت على احد الرجلين لانها سبق ان راته في مقهى "لون ستار" كانت "سارة" تصبغ شعرها باللون

www.elromancia.com

الأشقر من أيام الجامعة ولكن ماعدا ذلك لم يتغير شيء .

كان "سوني" و"ديبي" ينضمان إلى دائرة نفس الأصدقاء وقتها وكانت "ديبي" تعرف أن "سارة" كانت تريد "سوني" دائما . وربما قامت بينهما علاقة فيما مضى .

بينما "ديبي" شاردة في ذكريات الطفولة والصبا لمحت "سارة جان" "سوني" بالقرب من سيارته .

صاحت :

- "سوني بيرتون" ! لقد مضى زمن طويل لم نلتق فيه.

امسكت بذراع صديقتها وقدمتها لـ"سوني" .

- هل تتذكر "إنچيلا" ؟

لابد أن "سارة" تبلغ الثلاثين من عمرها الآن .

ولكنها لازالت ترتدي وكانها في الخامسة عشرة وكانت جيبتها الجلدية لاتصل إلى منتصف فخذها تماما مثل جيبة صديقتها "إنچيلا" وكانت المراتان تتزينان بطريقة صارخة . فحصتهما "ديبي" من الرأس إلى القدم ونظرت لـ"سوني" نظرة متامرة .

قالت "سارة" :

- يمكنك أن تقدم لنا صديقتك .

امسك "سوني" بذراع "ديبي" وابتسم لـ"سارة" ابتسامة آلية وفكر انها دائما مفرطة في حيويتها .

- انت تتذكرين "ديبي ستون" . "ديبي" اتذكرين "سارة تورمان" و"انجي كارليل" ؟

تنحنح ليسلك حلقه وأكمل عندما اقترب الرجلان :

- ولكني لا أظن انك تعرفين "ديف بندر" و"بارت توب" .

قالت "سارة" وقد بدا عليها التفكير :

- هل انت زوجة "سوني" السابقة ؟

لأول مرة اعتقدت "ديبي" انها لمحت بعض المكر في تقاطيع وجهها الرائعة . اضافت "سارة" :

- إنني اتذكرك في المدرسة .. لقد تغيرت .

استدارت بعد ذلك نحو "سوني" وكانها اعطت الوقت الكافي لإظهار ادبها . اعلنت :

- لقد عدت للمدينة كما تعرف . وابي نظم حفلا بهذه المناسبة وانت مدعو يا "سوني بيرتون" بكل ترحيب . يوم السبت القادم . اوه .. وانت كذلك يا "ديبي" وسنتمتع كثيرا على ما اظن . اوه وبالمناسبة يا "سوني" . لقد عرفت بما حدث لوالدك وهو امر مؤسف .. هل هو بخير الآن ؟

استمعت "ديبي" وهي شاردة إلى رد "سوني" وقالت في نفسها: إنه من المؤكد انها تكره هذه الفتاة إنها تراهما يغازلانه هي وصديقتها بينما يد "سوني" تعلو ذراعها وتنخفض . لقد كانتا تلتهمانه بعيونهما ويتعمدان تجاهل وجودها . فجاة ادركت وهي مذهولة أن "سوني" يكشف عن مغامرتهما في ساحة الانتظار وأن الآخرين كانوا يضحكون . احست بالغضب يصعد داخلها وفي طريق العودة بعد رحيل الآخرين التزمت الصمت متعمدة واظهرت نحوه عنادا باردا .

اثناء قيادته السيارة في اتجاه المزرعة تساءل "سوني" عما يمكن أن يكون قد قاله او فعله ليبرر هذا المسلك . كان يعلم انه لم يكن من

الواجب ان يتمادى في الأمر إلى هذا الحد في ساحة الانتظار ولكنه لم يستطع ببساطة ان يبعد ذهنه عما يحسه نحوها من رغبة جامحة . إنه يحس الآن وكانه مراهق ويعرف انها تبادله نفس الشعور . كان ممسكا بعجلة القيادة بكلتا يديه والأفكار المتضاربة تتصارع داخل نفسه . قال فجاة وهو يامل ان اعتذاره لها سيحل مشكلة الصمت .

- انا آسف يا "ديبي" .

قالت :

- وانا كذلك .

كان صوتها باردا . وعندما وصلا المزرعة فتحت الباب المجاور لمقعدها قبل ان يضغط على الفرامل اليدوية او يقوم باي حركة . صاح :

- "ديبي" ! "ديبي" ! انتظري !

استدارت مرغمة وتركته يلحق بها .

- لماذا انت ثائرة علي لهذه الدرجة ؟

نظر إليها غير مصدق مما زاد من تعكير مزاجها :

ردت عليه بحدة :

- لست ثائرة . والآن اعذرني يا "سوني" لانني متعبة .

حاولت ان تبتسم له ولكن دون جدوى . اضافت .

- شكرا على العشاء .. لقد كان ممتازا .. تصبح على خير دارت على عقبيها ودفعت باب الدخول وتركته في مكانه دون كلمة . ###

بعد اسبوع وفي يوم احد احست "ديبي" الحاجة المفاجئة للخروج ساعة او ساعتين . صاحت من اسفل الدرج .

- "هالي" !

- ساصل ياقلبي !

بعد ثوان هبطت "هالي" الدرج وفي يدها ممسحة وسالت وهي في منتصف السلم .

- هل هناك شيء ما ؟

لدي رغبة في التمشية . هل هناك جواد أستطيع أن أمتطيه ؟

أجابت "هالي" وهي تلقي عليها نظرة إلحاح .

- يوجد اربعة او خمسة . اطلبي من "بادي" ان يسرج لك "فلاي دانسر" .

قالت "ديبي" وقد بدا عليها الامتنان :

- شكرا . ساقوم بسرجه بنفسي .

كان "فلاي دانسر" جوادا صغير السن من أصل مجري باهر الجمال . أخذت تعدو وسط السهول المترية . ثم صعدت التلال العالية وهناك وضعت قدميها على الأرض وأخذت تسقيه من ماء الزمزمية بعد ان صبت الماء بين كفيها ثم تمددت بضع دقائق تحت ظل شجرة بلوط ضخمة .

فكرت في مدى روعة بداية سهرة السبت السابق مع "سوني" وكيف انتهت بمأساة . أخذت تتامل السماء الفسيحة . إن ذلك يؤكد فكرتها حول ان الأحلام يجب أن تظل أحلاما ولاشيء غير ذلك .

الم تتعلم ذلك وهي في سن الثامنة عشرة ؟

###

تبع "سوني" آثار "فلاي دانسر" ووجد "ديبي" ممددة تحت شجرة على قمة التل . ترك جواده بجوار جوادها وانتظر حتى لاحظت حضوره

www.elromancia.com

ولكنها كانت نائمة ملء جفنيها . جلس بجوارها دون أن يحدث أي ضجة وهو يلتهم منظرها الملائكي . كانت صغيرة ولم يصدق أنها بلغت الخامسة والعشرين . كانت ترتدي أحد قمصانها المكسيكية الذي يزيد من فتنتها وكان لونه "تركواز" لامعا فوق العشب الأخضر . بينما كان شعرها متموجا فوق كتفيها تحت تاثير الريح الخفيفة . ناداها .

- "ديبي" !

- ... "سوني" ؟

طرفت برموشها وتقلص جسدها وهي تناوه ثم وضعت كفها لتحجب الضوء عن عينيها . هزت رأسها .

- أوه .. لا ...

- ماذا تقصدين بكلمة "لا" ؟

قطبت حاجبيها وخفضت عينيها وقالت :

- أريد أن أقول .. ارحل من هنا .

جلست ومشطت شعرها الذي التصق به بعض الأعشاب .

- ماذا ؟

- ارحل من هنا ولاتبق ولا أريد أن أتحدث معك الآن .

قال وقد بدأ يغضب :

- لست أفهم .

- أعرف .

- إذن اشرحي لي ! قولي لي ماذا يجري ؟!

- إن هذا لن يفيد في شيء .

- اللعنة ! حسنا .. حاولي على الأقل ! خبريني ماذا يجري وبقدر ما

اعلم أننا لم نغضب من بعضنا بعضا . إنني أريدك وأنت تريدينني ايضا . إذن ماذا هناك ؟ هل ضايقك ماجرى بيننا في ساحة الانتظار ؟ إنك تلوين وجهك من أسبوع .. هل هذا بسبب "سارة" ؟ ربما كان هذا بسببها . عليك اللعنة ؟

اكتفت بأن ظلت ترمقه لحظات طويلة بإمعان بعينيها الواسعتين الخضراوين قبل أن تساله بصوت واهن :

- ماذا تنتظر مني ؟ ماذا تريد بالضبط يا "سوني" ؟

أشاح بوجهه وهو يشعر بعدم الارتياح .

- أنا .. لست واثقا بذلك .. أنا نفسي .

تسترت وراء كرامتها وحدجته بنظرة باردة كالثلج وأكملت حديثها بلهجة وحشية :

- ربما أنا أعرفه أو لنقل : إنني أستطيع التصور بسهولة :

تملك "سوني" خوف مفاجئ وسألها :

- بحق السماء ! عن أي شيء تتحدثين ؟

قالت بصوت جاف .

- الثار ! إنه الثار الذي تبحث عنه . إنك تريد أن تثبت لنفسك ولكل الناس أنك استطعت أن تستعيدني . أليس كذلك يا "سوني"؟

- أنت مخطئة يا "ديبي" .

- في أي شيء ؟ أنت تتجاهلني أياما وفي مساء تصحبني للرقص في ملهى وتنتهي بأن .. تضع يديك اللعينتين وسط ساحة الانتظار ..

لم تكن تريد أن تكون غبية لهذه الدرجة .. لو أراد أن يهينها إذن فقد نجح في ذلك . زفر وقال :

www.elromancia.com

- نعم .. أعتقد أنني فعلت ذلك .

خفضت عينيها وبدأت تنزع حزمة من العشب في عصبية ثم قالت :

- أعرف أنك ترغبني يا "سوني" ولكن مامعنى ذلك ؟

مامعني ذلك بالضبط ؟ وما المفروض أن افعله أو أظنه أنا ؟

رفع عينيه إلى السماء لحظات ... لم تكن هناك سحابة واحدة والزرقة صافية في كل السماء . إن هذه البلاد رائعة ...

ابتسم فجاة وهز رأسه ثم عاد بنظراته إليها :

- لست أعرف مامعنى ذلك بالضبط ولكني يمكن أن أقول لك: إنه من المفروض أن تفعلي ... أن تتعاوني. وضع يده على خدها برقة . دارت عيناها في محجريهما وأطلقت مايشبه الضحكة المرحة أو تلك الزمجرة التي يعرفها ويحبها كثيرا .. ود لو أخذها بين ذراعيه بكل نشوة الحب.

تمدد فوق العشب بجوارها وأشار إليها بان تسترخي فاطاعته كالطفل المطيع .

قال بصوت مفعم بالعاطفة :

- أوه يا "ديبي" قولي لي : إنك تريدينني .. قوليها !

قالت في نفسها : إنه يفزعها وكل الوضع يفزعها .

همست في تردد :

- نعم .. انا اريدك وانت تعرف ذلك .

كانت عيناه عيني عاشق . ودت لو أن الزمن توقف ولم يعودا يسمعان سوى ضربات قلبيهما . أغلقت عينيها لتتمتع بتلك اللحظات التي نقلتها إلى عالم آخر .

جديد من السعادة التي لاتنتهي .

الفصل الثامن

ظلا مسترخيين في صمت فوق العشب وكل منهما سارح في عالمه الجديد ولا يريد أي منهما أن يبدأ الكلام .

ظلت "ديبي" مغمضة العينين اما هو فظن أن كل جسده قد تناثر وطار في الهواء وسط الريح .

فكرت "ديبي" في ذلك الرجل المسترخي بجوارها. إنه ساحر ومنوم مغناطيسي أو عالم في كيمياء وتفاعلات الحب.

لقد كان تأثيره ساحقا وقد أحست بالغيرة والشك وهي تسأل نفسها. هل هو بهذا التأثير على باقي النساء . اما إنها هي الضعيفة أمامه . إنها سريعة التأثر بنظراته . وهو الوحيد الذي يستطيع أن يدير رأسها إلى هذه الدرجة . رفع "سوني" رأسه ببطء وشملها بنظرة

www.elromancia.com

حانية فراى انها مغمضة العينين .

ماذا يمكن ان يقول لها؟ لقد ادرك فجاة انه يعد اي نوع من الوقاية منها . ولكنه احس بانها تحتاج إلى حمايته من كل شيء وكل الناس .

انتظر حتى تفتح عينيها ولكنها استمرت في تجاهل وجوده . لمس انفها باصبعه فانكمشت بحركة غريزية وكانها تحمي نفسها . قال لها بصوت مخنوق من العاطفة :

- كل شيء سيكون على مايرام ياحبيبتي .

أوشكت "ديبي" على البكاء ولكنها اكتفت بهز راسها . كانت عيناها تلمعان وتساءلت هل يحس بنفس احاسيسها ؟

- إنني أريد منك ياعزيزتي الا تكفي عن الكلام ... اتفقنا ؟

هزت راسها وهي تبتسم .

- آه يا "ديبي" لم يكن لدي سوى فكرة واحدة في راسي عندما رايتك مرة ثانية وهي اين رايت هذا الشعر الأشقر وتلك العينين الخضراوين ؟

ابتسم ابتسامة ساحقة واكمل .

- لقد سادني إحساس .. إنك كنت تريديني وانا أريدك اكثر من اي وقت مضى ...

- إنه امر غريب حقا .

أسندت جسدها على كوعها وتنهدت وسالته :

- إلى اين تعتقد يا "سوني" ان ذلك يمكن ان يقودنا ؟

- إلى ماتريدين يا حبيبتي مادمنا معا .

نظر إلى المنظر الطبيعي حولهما وتاه في جماله . كانت التلال تلمع على مدى البصر وكل شيء ساكن ومهجور . قال لها :

اخفضي نفسك فهناك من يوقظنا في هذا المكان .

- ماذا ؟

- لا تتحركي !

رفع راسه في حذر ثم قال :

- إن اخي الصغير موجود وإذا لمحنا في هذا المكان فإننا نصبح في موقف لانحسد عليه .

رفعت "ديبي" راسها والقت نظرة إلى اسفل . كان "بن" آتيا على صهوة جواده نحوهما . قال "سوني" بهدوء :

- اهدئي . إنه لن يرانا لو خفضنا راسينا .

قالت وهي تهندم ملابسها وشعرها بسرعة اذهلته :

- إنني لا اريد ان اثير انتباهه ولكني لن اظل هنا كالتمثال .

جمع حاجياته هو الآخر وخفض عينيه قال لها :

- من فضلك لا تعودي إلى تكرار ماحدث يا "ديبي" سالته وهي ترتدي حذاءها البوت وهي مشغولة وكان الإجابة على سؤالها لاتعني لها شيئا :

- اعود إلى ماذا ؟

- منذ عودتك إلى المدينة وانا ارى كيف ... إنني ما إن اقترب منك إلا وتجدين وسيلة لتثوري علي .

ولا استطيع ان اصدق ابدا ان هذا ماتريدينه حقا . لا .. إنني لا استطيع ان اصدق .

نهضت واعادت ترتيب شعرها :

- من الواضح انك خبير في فن التقرب من النساء و الافتراق عنهن

حتى إنك لا تتصور لحظة أنك تستطيع أن تقول أو تفعل ما لا يصح في الوقت الذي يجب عليك أن تصمت .. أليس كذلك ؟

أراد أن يرد عليها ولكنها لم تترك له الفرصة :

- ألم تفكر أنه لم يعد لك الحق في إصدار الأوامر إلي يا "سوني" ؟ ألم تفكر لحظة أنني يمكن أن أكون امرأة عصرية تعرف ماذا تفعل وربما لاتعرف عنها شيئا ؟ أو تعرفها من أعماقها ؟

- عن أي شيء تتكلمين من فضلك ؟

بدا يضحك وإن كانت ضحكته مفتعلة . ألقت نظرة فيما حولها وقالت:

- إنني أتكلم عن هذا وعن ليلة السبت الماضية . أنت تأخذ ماتريد في الوقت الذي تريده .. هذا كل ما هناك . حدجته بنظرة باردة كالثلج وقالت :

- يبدو لي واضحا أنك لم تتعلم أبدا كيف تطلب أي شيء ! حسنا .. لم أعد تلك الفتاة الساذجة فاقدة العقل التي عرفتها من ثماني سنوات . ماذاتظن نفسك ؟ إنك أنت فقط الوحيد الذي يقرر؟

وإنه ليس هناك سوى "سوني" العظيم الذي يملك هذه القرية ؟ لقد قضيت لحظات سعيدة معك يوم السبت الماضي . واعتقدت أن مباريات "الروديو" ستنتهي بأن تعلمك أمورا كثيرة ومعينة . ثم هل من المفروض أن ألقي نفسي تحت قدميك طالبة الحب الأزلي ؟

- هذا يكفي يا "ديبي" .. كفي من فضلك !

- لم يعد من السهل أن تمتلكني يا "سوني" إن الفتاة التي عرفتها ماتت في خان من خمس سنوات . أتدري !

لقد انتظرت عند موقف الأتوبيس مدة عشر ساعات قبل أن أفهم أنك لن تأتي . لقد ظننت أنك ستحضر وتضربني على مؤخرتي ثم تركع على ركبتيك وتعتذر لأنك شككت في . لم أكن أتصور أنك ستدعني أرحل .. لكنك فعلتها مع ذلك .

ضاقت المسافة بين حاجبيه وخفض عينيه .

اليوم لن أترك نفسي أنساق وراء أكاذيب راعي بقر مهما كانت حلوة ومن الأفضل أن تضع ذلك في رأسك .

دافع عن نفسه قائلا :

- إنني لم أكذب عليك أبدا .

ردت عليه في الحال :

- وأنا كذلك لم أكذب عليك .

ران عليهما صمت طويل . أخذ يتأملها بعينين حزينتين وغاضبتين في آن واحد . ثم استدار فجأة ودون أن يضيف كلمة امتطى جواده ورحل عدوا .

بعد لحظات امتطت جوادها بدورها ورغم أنها ودت أن تتجنب لقاء "بن" إلا أنها اتجهت نحوه هابطة التل . صاح وهو ينظر إلى التل الآخر بحثا عن حيوان ضال :

- هاي "ديبي" ! هل تأخذين حماما شمسيا هنا ؟

قالت تقلد "سوني" في همهمته رغما عنها :

- آه .. هيه ...

قال وهو يشير بقبعته نحو بقرة مغروزة في الوحل على بعد مائة متر أسفل التل .

- آه ها ! هاهي محبوبتي !

أمسكت بالحبل الذي حول رقبة البقرة وربطته في سرج الفرس "فلاي دانسر" فقال :

- هل تريدين أن تساعدي ؟

- ولم لا ؟

لم يعودا إلى المزرعة إلا في وقت متاخر من بعد الظهر . كانت البقرة التي سمياها "الضالة" مغروزة في الوحل حتى بطنها . حاولا سحبها بعد محاولة فاشلة استغرقت نصف ساعة فقررت "ديبي" أن تدخل وسط الوحل بدورها تحت نظرات "بن" المسرورة والذي أخذ يشد الحبل بينما هي تدفع البقرة من مؤخرتها .

عندما وصلا إلى المزرعة كانت قد كسر الثنان من اظافرها ، وعضلة انحلت وعدد لاحصر له من الكدمات الزرقاء . لقد كانت تلك اللحظات من اصعب ما واجهته في حياتها .

تركا حذاءيهما البوت على الشرفة الأمامية ودخلا في ضجة وصخب إلى المنزل وهما يمزحان حول متاعب "الضالة" ذهبت "ديبي" مباشرة لتاخذ حماما ساخنا حتى تهدئ من انفعالها . بينما تنزع ملابسها في الحمام وتعد كدماتها أحست بالم مختلف ذكرها باللحظات التي قضتها مع "سوني بيرتون" تحت شجرة البلوط .

###

ظل "سوني" صامتا طوال الفترة التي استغرقها العشاء وهو مضطرب امام حماس "بن" وهو يقص الحكاية حول الطريقة الدرامية في إنقاذ البقرة الضالة وقت بعد الظهر وخرج وذهب إلى مخزن الغلال

والدريس وأعطى العلف لـ"باكو" وإلى بقية الجياد ثم سرح لحظات وهو مستند على الحاجز يتامل السماء المرصعة بالنجوم .

ثم تذكر ماحدث من اسبوعين قبل عيد ميلاد زوجته الثامن عشر. كان "سوني" قد دس المفتاح في قفل الحجرة التي حجزها في الخان وهو يتشمم الهواء وقد بدا عليه التعب . القى قبعة رعاة البقر التي كان يرتديها امامه فسقطت على التسريحة الرخيصة المصنوعة من خشب "الفورمايكا" والموضوعة في ركن الحجرة . صاح مناديا :

- "ديبي" . لقد حضرت مبكرا ياعزيزتي .

لم يتلق ردا . ذهب ليبحث في الحمام ولكنها لم تكن هناك ايضا قال في نفسه : إن الأمر مثير للدهشة ولكن لابد انها لم تذهب بعيدا وهي معها الشاحنة .

دلك رقبته بسرعة وخرج إلى الدهليز . لابد أن "توم" يعرف أين هي . ذهب إلى غرفة اخيه طرق الباب وادار الأكرة ثم دخل . شاهد "توم" واقفا ومديرا ظهره للباب ساله :

- هل رأيت "ديبي" ؟

ونزع ذراعيه من حول المراة التي كان يحتضنها .

شاهد طرف ثوب منزلي احمر ، وساقين لامراة فتراجع معتذرا:

- اوه أسف يا عجوز ... إنني ابحث عن ...

استدار "توم" نحوه في حركة طائشة ومرتبكة . كان وجهها مغطى بالدموع وشعرها اشعث ولاحظ "سوني" في عينيها الما مقرونا بمايشبه الخوف .

شحب وجهه فجاة عندما شاهدها امامه في الروب الخاص بشقيقه

واحس بان الأرض تميد من تحت قدميه .

اصابه فجاة غضب جامح وضم قبضتيه واطاح بـ "توم" بلكمة في كتفه . صاح "توم" ليحمي نفسه من ضربات شقيقه .

- "سوني" ! كف ! ليس ماتظنه ...

لم يتح له الوقت ليكمل كلامه فقد لكمه "سوني" لكمة اخرى القت به على ظهره بعد ان تعثر في مقعد . لم يسمع "سوني" "ديبي" وهي تصيح وهي تخرج عدوا نحو حجرتهما . لم يكن في ذهنه سوى صورة واحدة وهو تحت تاثير الغضب والثورة صورة "ديبي" و"توم" وهما متعانقان .

حدج اخاه بنظرة باردة كالثلج الذي سقط على الأرض فترة طويلة وحاول ان ينهض . صرخ "توم" وهو يلقي نظرة حوله :

- بحق السماء يا "سوني" !

كانت "ديبي" قد رحلت فسارع نحو الباب ثم عاد نحو "سوني" الذي حدجه بنظرات شرسه وصاح .

- ايها الغبي ! إن "ديبي" تعرضت للإجهاض .. اللعنة إن ملابسها ملوثة بالدماء .

هز "سوني" راسه والقى نظرة اخيرة على شقيقه وصفق الباب وراءه بشدة حتى اوشك ان ينزعه من مفصلاته. وعندما وصل إلى حجرته كانت "ديبي" تعد حقائبها . قالت له امرة دون ان تنظر إليه:

- لاتقل شيئا .

- وأين تنوين الذهاب بهذا الشكل ؟

- لست ادري . ولكن كل ما اعرفه انني لا أستطيع ان ابقى معك .

ظلت لاتنظر إليه . تساءل : تتركه ؟ لماذا تريد ان تتركه مالم ...

- ماذا فعلت ؟

استدارت نحوه ونظرت إليه بعينين لامعتين واعلنت .

- إني راحلة .. لقد فاض بي الكيل من كل هذا . في البداية كنا نتكلم ونمرح . لم اعد اراك .. إنني لم اعد اتحمل اكثر من ذلك ان اقضي حياتي في الفنادق الوضيعة القذرة . ولا استطيع ان احصل على عمل اوببساطة اذهب إلى المدرسة إنني لم اعد اصلح لشيء . ثم إنني لست على شاكلتك يا"سوني" .

- على اية حال لا تستطيعين الرحيل بهذا الشكل .

- لا تحاول ان تمنعني .

اغلقت حقيبتها وخفضت عينيها :

- لاتجبرني على كراهيتك يا "سوني" .

ارتدت معطفها بسرعة وخرجت دون ان تلتفت للخلف .

جلس على السرير ووضع راسه بين يديه واحس بان العالم كله ينهار من حوله . مالذي حدث لهما ؟ لماذا تحولت الأمور هكذا ؟ اراد ان يتبعها ولكن شيئا ما داخله منعه لانه اصبح فريسة للشك الرهيب . همهم وهو بمفرده في الحجرة الخالية .

- ما الذي فعلته ؟

###

مر منتصف الليل عندما دفع "سوني" باب حجرة "ديبي" . كان القمر بدرا كاملا وقد القى اضواءه الباهتة فوق سجاد الحجرة الأزرق . اغلق الباب برقة وتقدم نحو السرير دون ان يحدث ضجة.

في هذه اللحظة اضاءت "ديبي" الاباجورة وهي ترمش بعينيها من

الدهشة . كان "سوني" يرتدي "چينز" ولكن قدميه كانتا حافيتين .. راقبته وهو يقترب وهي تتساءل لماذا لاتشعر بالمهانة أمام هذا التطفل . هل هي بطريقة ما كانت تنتظر حضوره ؟ .. لقد كان رائعا .. وجذابا .. وفريدا وما تحسه ليس المهانة . قال :

- هل استيقظت؟ حسنا .

سالته بصوت يشوبه النعاس :

- مامعنى هذا ؟

بدا هادئا للغاية وهو واقف أمام السرير .

- لقد حان الوقت لنتحدث يا "ديبي" .. هل يمكن أن أجلس ؟

انتصبت في جلستها وهي تفسح المكان له ولاحظ "سوني" أنها ترتدي قميص نوم من النوع الذي ترتديه الطالبات . قطب حاجبيه وقد بدا عليه الجد وقد عقد ذراعيه على صدره وأسند ظهره على قائمة السرير . ورغم أنها حرصت على ألا تلمسه إلا أنها أحست بحرارته تصل إليها .

- أريد أن تصدقي ماساقوله لك الآن ، لأن الله شاهد علي بأنني ساقول الحقيقة .

ترك كلماته التمهيدية تحدث تاثيرها على ذهنها قبل أن يتابع :

لم يكن لدي ابدا أية نية لأن اثبت لك أنني أستطيع إخضاعك . أنا لا اقول : إن الفكرة لم تطرأ على بالي لمدة ثانية عندما رايتك مرة ثانية في مقهى "لون ستار" ولكن ابدا لم تكن لدي نية أن أسبب لك أي أذى. لقد اخطات عندما اعتقدت ذلك يا "ديبي" .

خفضت عينيها في حزن نحو الأغطية . أكمل .

- أن أراك تدخلين مرة أخرى حياتي جعلني افكر طويلا فيما سبق أن حدث . بيننا .

هز راسه وقد بدا عليه الشرود .

- لقد نظرت إلى الخلف اليوم ولكني لم افهم ابدا . لقد قضينا ستة أشهر رائعة . ثم فجاة كل شيء انتهى . لقد اصبت بالخوف وفي اعماقي لم اكن اصدق ابدا انك خنتني مع "توم" او اي مخلوق كان . كنت أعرف أنك غير سعيدة وكنت وقتها افكر كثيرا في نفسي . ولكني كنت محل ضغوط كثيرة وهناك العديد من الأمور لابد أن اواجهها مثل حبي لك والمنافسات التي تجعلني ضد "توم" والخوف من الا اكون رجلا بعد والخوف من الا أستطيع العناية بك ورعايتك . لقد حدث كل شيء بسرعة حتى إنني لم أجد وقتا افكر في اي شيء . إنني بحاجه أن تعرفي انني كنت اسفا ياعزيزتي أسف لأنني لم اعرف احبك احسن ولأنني لم استطع أن انال ثقتك . وأسف على ابننا ايضا-

ظلت لحظات غير قادرة على الكلام . همست اخيرا بصوت مخنوق :

- لايمكن لأي شخص أن يسبب لي مثل ماسببته من ضرر .

قال معترفا :

- أعرف ! أعرف كيف كنت تشعرين لأنني احسست بنفس الشيء عندما هجرتني .

ساد صمت طويل وتجنب كل منهما النظر للآخر .

تابع "سوني" كلامه :

- لم افعل سوى التفكير فيك في هذه الأيام الأخيرة . وكان يكفي أن المسك حتى لا أعرف اين أنا ومن أكون ؟ والأسوا اصبح ذلك لايهمني .

www.elromancia.com

احست "ديبي" بغصة في حلقها . سالها :

- هل تتمسكين حقا بنسيان ما حدث اليوم ؟

سالته بدورها :

- وانت ؟

- لا .

لم تكن تعرف ماذا يريد ولكن على الاقل هناك شيء تعرفه وتريد ان تقوله له :

- إنني لا اقبل ان اكون اسيرة احد ولا ان اجبر على عمل شيء رغما عني .

قال بصوت جاد جدا :

- لقد فهمت هذا . ويمكنك ان تدافعي عن نفسك وتصرخي ماعن لك في كل مرة تحسين فيها انني افعل ذلك . ساتغير قدر استطاعتي وان اتجنب فعل ذلك من نفسي .

سكت لحظات وهو يتاملها بإمعان وسالها :

وماذا ايضا ؟

اخذت نفسا عميقا ثم قالت وهي تضغط على الحروف :

- إنني لا اريد ان اسمع اكاذيب مرة اخرى .

- اكاذيب ؟ عن اي شيء تتحدثين ؟ إنني لم اكذب عليك ابدا .

- إذا كنت تقابل امراة اخرى فقل الآن .

احست في تلك اللحظة ان يد "سوني" تلتف حول رقبتها .

- لا ياعزيزتي .. لايوجد امراة اخرى سواك .

كان يتحدث بتلك اللهجة التي تعرفها جيدا . رفعت عينيها نحوه

وخفضت رموشها ثم قالت :

- لاتعتقد ان المهمة ستكون سهلة في كل مرة ايها الراعي .

أمسك يدها بيده وتاملها طويلا واحست "ديبي" انها واقعة تحت تاثير تنويم مغناطيسي من سحر نظرة الحب في عينيه .

- إن ما احسه نحوك يا عزيزتي لم يسبق ان احسسته من قبل مع اي شخص كان .. واريد ان نظل معا اكبر وقت ممكن .

- لماذا ؟

- الا ترين ذلك ؟ الا تحسين انني اشعر بالراحة بجوارك وانني احب ان اسمعك تضحكين ؟ الا ترين إلى اي حد انا مجنون بك؟

- نحن لسنا من عالم واحد يا "سوني" . ولم نكن ابدا من عالم واحد .

ضحك ضحكة قصيرة. كم تشعر بالراحة وهو يضحك .

وقال لها معلقا :

- يا عزيزتي .. لقد نشانا وكبرنا في نفس البلدة الصغيرة نحن انا وانت .

هزت رأسها وهي متوترة وقالت وهي تحاول ان تركز على كلماتها لتعطي تاثير الجدية .

- النقود .. النقود يا "سوني"!

سالها :

- إذن انت لاترفضيني انا وإنما ترفضين نقودي ؟

- اه .. نعم. هذه ليست هي المشكلة الوحيدة .

- ماهي ؟

- انظر اين نحن .. إننا على بعد عشرة امتار من والدك اتدري انت

www.elromancia.com

آخر مشكلة تعقد حياتي ولست في حاجة إليها .

- اما انت .. فانت بالضبط المشكلة التي أحتاجها .

لدينا شيء لايحصل عليه معظم الناس يا "ديبي" لايهمني ان كنت تعملين هنا أو انك تصيبين كل من يعمل عندي بالجنون . وسواء صدقت ام لا . انا أموت من الغيرة والخوف في الايام الأخيرة .

سالته وهي ترفع عينيها نحوه :

- مم تخاف ؟

هز كتفيه بلا اكتراث .

- لست ادري .. من كل شيء .. اخاف ان اكون معك وان افقدك. اخاف ان تعتبريني احمق .. واعرف انك لاتثقين بي ولا باي شخص آخر .

واخيرا انت تعرفين على الاقل انني لا اريد نقودك .

ضحكت :

- انت دائما رقيق يا "سوني" .

ربت على خدها بطرف اصابعه .

- إنني لا أريد ان يحدث لك اي ضرر يا "ديبي" صدقيني إنني لا أريد لك اي ضرر .

اغلقت عينيها وتركت نفسها مع كلمات "سوني" تنقلها إلى عالم خيالي من السعادة .

الفصل التاسع

عندما استيقظت "ديبي" عاد إلى ذكرياتها شريط ماحدث وهي تستعد لارتداء ملابسها حتى تبدأ يومها وتهبط لإعداد طعام الإفطار . كانت تحس بالتعب ولكنها كانت سعيدة وعلى يقين من أن حياتها ستاخذ اتجاها جديدا .

كانت منحنية على الفرن الذي كان مفتوح الباب عندما أحست بوجود "سوني" خلفها . فردت جسمها في حذر همس في اذنها :

- لقد اشتقت كثيرا إليك :

استدارت ووضعت البسكويت في الفرن وقالت له وهي تحس بحلقها مخنوقا من العاطفة :

- اجلس وساقدم لك القهوة .

www.elromancia.com

عندما نظرت إليه بطرف عينيها لاحظت فجاة نظرته القلقة ولكنها لم تفهم السبب . قدمت له القهوة وأحست به وهو يأخذ أصابعها بين يديه وضغطها .

حل المرح محل القلق على وجهه وابتسمت له . قالت وكلماتها ترن داخل المطبخ الواسع الذي كان لهما بمفردهما :

- لقد اتصلت بالبيطري الخاص بمزرعة ابي ليلقي نظرة على عين "لوسي" واريد منك أن ترسل لي أحدا ليخبرني عند وصوله .

- حسنا ...

همست :

- ثم كف عن النظر إلي بالطريقة التي تفعلها .

ابتسم :

- وكيف انظر إليك ؟

- مثل رجل على وشك أن يختطفني ويرفعني وراءه على سرج جواده.

كان لايزال يبتسم بطريقته المرحة في اللحظة التي دخل فيها "بن" كالإعصار إلى المطبخ . وقف مكانه وهو يراهما معا وقد بدا عليهما التامر . حاول التظاهر بانه لم يلاحظ شيئا وصب لنفسه القهوة والبسكويت .

أما "هالي" فلم تساورها الشكوك فهي عندما دخلت المطبخ صبت لنفسها القهوة واخذتها مع البسكويت وهي تنظر إلى "سوني" و"ديبي" و"بن" واحدا بعد الآخر ثم تساءلت :

- حسنا .. ماذا وراءكم جميعا ؟

سكب "بن" قهوته فاحرقت اصابع "ديبي" اما "سوني" فقد اكتفى بالنحنحة . أخذت "هالي" مكانها بذكائها المعتاد واكلت بعض (الجاتوه) ثم اعلنت فجاة .

- لدينا مشكلة يا اولاد .

تركزت كل العيون عليها .

- إن "دستي" ثائر وهائج في هذه اللحظة . إنه في حاجة إلى تغيير الهواء . واعتقد أن من الأفضل أن أصحبه بالقرب من البحيرة عدة أيام.

قال "سوني" وهو يشعر بالارتياح بينما ابتسم "بن" :

- تبدو لي فكرة ممتازة .

###

بعد وجبة منتصف النهار جاء "بادي" ليخبر "ديبي" أن الدكتور وصل لتوه . خلعت "ديبي" مريلتها وتبعته حتى الإصطبلات . كانت مشغولة بإعداد الأسئلة التي ستطرحها على البيطري ولاحظت المراة الموجودة في الخارج تتحدث مع "بن" الذي بدا مسحورا بمحدثته حتى إن "ديبي" القت نظرها عدة مرات نحوهما وهي تلاحظ الحقيبة السوداء التي تحملها المراة . توقفت فجاة وهي تتطوح بعض الشيء وقالت في نفسها . لابد أن هناك خطا . إن والدها لم يكن يثق ابدابتلك المراة خاصة بالنسبة لجياده .

في تلك اللحظة استدارت المراة نحو "ديبي" . كانت ذات شعر طويل أسود ووجهها مليح وفاتن.

لقد كان وجهها اكثر الوجوه هدوءا راته "ديبي" على الإطلاق . قالت المراة وهي تمد لها يدها القوية الثابتة المحترفة :

- لابد انك "ديبي" ابنة "بيل" انا "جو آن سمسون" كانت ابتسامة "ديبي" قد كشفت دون شك عما تظنه في تلك اللحظة ، لان البيطرية ابتسمت وقالت :

- اعتقد انني رايت هذه النظرة على وجه "بيل" اول مرة ذهبت لمقابلته في المزرعة .

قالت "ديبي" في نفسها : إنها سببت العار للجنس الحريمي كله بمسلكها هذا .

- انا آسفة ! كل ماهناك انني دهشت .. إن ابي اقصد ان اقول: إنه لم يتعود الثقة بالنساء على الاقل بالنسبة للامور التي يعتقد انها شاقة عليهن والتي يحتكرها الرجال .

ابتسمت "جوان" :

- كنت اعرف عنه ذلك ولكني عندما ذهبت إليه لمقابلته كانت لديه فرس تعمل مع صغيرها ورغم الخلافات التي كانت بيننا في اللحظات الاولى فقد اقنعته ان يساعدني واصبحنا صديقين بعد ذلك رغم انني كنت اغلبه دائما في الورق .

ظهرت ابتسامة على وجه "ديبي" وهي غير مصدقة :

- هذا يعلمني ان اصمت .

توجهتا بعد ذلك لفحص "لوسي" . اخرجت "آن" سماعة الكشف وفحصت بطن الفرس ثم ترددت لحظات واخذت تضغط البطن في عدة اماكن ثم اعلنت اخيرا :

- امامنا ثلاثة اسابيع .. هل انت سعيدة ؟

قالت "ديبي" .

- بل احس بالإثارة . هل كل شيء على مايرام ؟

- كي اكون امينة معك فإن قلب هذه الفرس ينبض بطريقة غير منتظمة بعض الشيء .

ظهرت تجعيدة القلق على وجه "ديبي" فجاة وغام وجهها وهي تنظر إلى البيطرية التي قالت :

- ولكن النبض من المحتمل ان ينتظم بمرور الوقت وهذه حالة معتادة جدا واعرف ان هذه الفرس عزيزة عليك وعلى والدك .

القت نظرة فيما حولها ثم استانفت الحديث :

- إن إصطبلات "بيرتون" ممتازة وكاملة واطمئني وعليك التاكد من ان تحظى بتمرينات كل يوم وساترك لك بعض الفيتامينات لتعطيها لها .

- شكرا وانا مقدرة مجهودك . على اي شيء آخر تريدين مني ان اسهر بصفة خاصة ؟

- لاحظي فقط سلوكها ولكن لا تغيري شيئا من غذائها ولاتقلقي . حسنا ساذهب لمضايقة "دستي" بضع دقائق قبل ان اذهب إلى آل "كلسي" . لابد ان اقتطع بعض الأموال .

بدات "ديبي" تضحك . قالت "جوان" بدورها .

- نعم .. إن هذا العمل ينقصه الرومانسية .

نهضت ونفضت الاتربة عن جيبتها بظهر يدها ثم سالت :

- اوه ! هل تلعبين "البوكر" يا "ديبي" ؟

ردت "ديبي" وقد وضعت يديها في وسطها .

- نعم واتحرق شوقا للعب .

www.elromancia.com

قالت في نفسها من المؤكد انني احببت هذه المراة .

هزت "جوان" راسها في رضا وقالت :

- حسنا .

عندما رحلت حاولت "ديبي" ان تنسى مخاوفها بشان "لوسي" وعادت إلى المطبخ وهي ساهمة .

###

في الأيام التالية لم تنته الأعمال المنزلية وكانت "ديبي" تحب ذلك. إنها تحب أن تكون مشغولة اما بالنسبة لـ"سوني" فكان شبه مختف في المزرعة وكان عمله يجبره على الخروج بعيدا بعض الشيء كل يوم من الفجر حتى الغروب . اصيبت "ديبي" بالتوتر والضيق من هذا الوضع فقررت بعد ظهر أحد الأيام ان تاخذ سيارتها وتذهب لترى كيف تسير الأمور في مزرعتها الخاصة ؟

كان "بيرني هولدن" راعي بقر ضخم الجثة طويل الجسد واسود العينين ويبدو عليه انه دخل معارك سنوات طويلة في أسوا الظروف . اما زوجته "جيني" فكانت على العكس صغيرة الجسم شقراء ذات وجه مستدير ولايزيد طولها عن متر ونصف وعيناها تشعان مكرا .

اتصلت بهم "ديبي" تليفونيا لتحيطهم علما بوصولها حتى تتيح لـ"بيرني" الفرصة ان يلقي نظرة على الجياد معها . كانت "جيني" في انتظارها على الفناء وصاحت عندما رات سيارتها :

- هاي !

نزلت في الحال درجات السلم للقائها .

ابتسمت لها "ديبي" في الحال . كانت "جيني" تتمتع بموهبة التاثير

على الناس .

سالها :

- كيف حالك يا جيني ؟

- أخر روعة ! إن "بيرني" على وشك العثور على مزرعة ابتسمت ابتسامة صغيرة واستانفت :

- إنك لن تتعرفي عليه .

في تلك اللحظة اتسعت عينا "ديبي" دهشة عندما نظرت إلى بطن "جيني" المنتفخ.

- "جيني" .. هل انت ... ؟

اضاءت الابتسامة وجه "جيني" وقالت وهي تخفض عينيها :

- في يناير ...

- وماذا تريدين ؟ ولدا ام بنتا ؟

- الأمر سيان وافضل الا اعرف ذلك واتمنى فقط ان يكون او تكون في صحة جيدة مثل "بيرني" ويشبهه ثم اخذت تفكر قليلا وقالت :

- نعم إنني أريد ان يكون الطفل صورة من "بيرني" بدت "ديبي" معجبة جدا بهذا الإخلاص . هزت "جيني" راسها برقة وامسكت "ديبي" من يدها .

- هيا بنا نعثر على رجلي .. لابد انه مشغول بالخيل .

كان "بيرني" موجودا في الإصطبلات . تقدمتا في سكون وادار راسه بالغريزة نحوهما قالت "ديبي" :

- الف مبارك !

ظهرت ابتسامة واسعة على وجه "بيرني" :

- إنني أطلب منك دقيقة يا "ديبي" .

- أوه .. لاتفكر في بشكل خاص .. لقد اتيت فقط لأتكلم مع وحوشي وأعطيهم بعض الجزر وربما قالوا لي إن كانوا قد اشتاقوا إلي أم لا .

ابتسم "بيرني" ابتسامة خفيفة وقال :

- ستجدين مايفتح شهيتهم في حجرة السروج .

###

مساء اليوم التالي أعلنت "هالي" أنها و"دستي" سيرحلان إلى الكبينة على البحيرة في الغد .

تجهم وجه "سوني" :

- لست أدري يا "هالي" إنه يبدو ليس في تمام عافيته . إنني أحس انه أصبح عجوزا منذ الحادثة . ربما كان من الأفضل لو انتظر أسبوعا أو اثنين قبل نقله إلى هناك .

كانت "هالي" على وشك الرد عليه ولكن "دستي" لم يتح لها الفرصة وقال معترضا بصوت حاد :

- هيه ! أنتم أيها الناس .. إنني لم أمت بعد .

- والدي !

نهض "سوني" و"بن" في الحال ليساعداه . كان في نظرة "دستي" قوة وعمق لاتعطيان مجالا للشك على أية حال في مدى قدرته أن يظل سيد البيت .

ظل الجو مشحونا إلى أن تدخلت "ديبي" قائلة :

- وبعد يا "دستي" ألست جائعا هذا المساء ؟

جلس في حذر أمام المائدة وقال :

- إنني لن ارفض قطعة أخرى من هذا (الجاتوه) بالتفاح اللذيذة التي سبق ان تذوقتها ثم اتناول أيضا قدحا من القهـ.....

تنحنحت "هالي" في تلك اللحظة فصحح كلامه

- .. من الأعشاب الطبيعية يا "ديبي" .

صمت "سوني" و"بن" وهما يحاولان إخفاء تعبيراتهما بينما وجه "دستي" يشع وقارا وتصميما .

سالت "ديبي" وهي ترفع ذقنها لأعلى:

- إذن ماذا تنوي أن تصطاد هناك يا "دستي" ؟

- اكبر سمكة شبوط راتها عيناك . ساصنع من عظامها عقدا لك ياعزيزتي الصغيرة .

قالت له في تحد :

- ومن الذي سينظفها ؟

قال دون تردد:

- أولادي !

###

في ساعة متاخرة من هذا المساء خرجت "ديبي" من حمام السباحة واستعدت للصعود إلى حجرتها عندما قابلت "سوني" فجاة . قال في ارتياح :

- اخيرا ... انا سعيد ، لانني وجدتك بمفردك .

وشكرا على مافعلته الآن بعد العشاء .

غرقت لحظات في تامل زرقة عينيه . سالته :

- وماذا فعلت ؟

- هيا .. لقد وفرت علي أن أخطئ وأقول لوالدي : إن مظاهر الكبر بدت عليه . ثم إنك منعت الأب من ضرب ابنه ليثبت أنه سيد الدار، كما أنك استطعت أن تتيحي لنا وقتا أطول معا .

أحست بوجهها يحمر خجلا وصعدت الدموع إلى عينيها .

الفصل العاشر

انتهى الأمر بـ "دستي" و"هالي" بالوصول إلى البحيرة وذهب "بن" في زيارة قصيرة إلى "دالاس" لمباراة في الروديو . ولم تمر سوى ساعات على رحيلهم حتى وجدت "ديبي" نفسها أمام باقة زهور بجوار نافذة حجرتها . كانت زهورا برية قطفها "سوني" من أجلها وهي في عينيها أجمل من الورود والأوركيد .

هبطت الدرج وذهبت إلى السقيفة . كان هناك في حلبة الجياد المحاطة بالسياج يقوم بتدريب "لوسي" على العدو بدلا منها . رفع عينيه عند اقترابها ورأى أنها تمسك الزهور بين يديها .

مرر يده على بطن "لوسي" وأحس بالجنين يتحرك تحت يده فقال:

- لم يبق وقت طويل . إن "جوان" قالت : إن قلب الجنين أصبح قويا

www.elromancia.com

الآن :

- أوه يا "سوني" !

تنفست الصعداء واقتربت لتلمس بنفسها بطن الفرس . قالت :

- لقد قال أبي : إن لديه جيادا رائعة ولكن لا يوجد من بينها من هو في نقاء أصل "لوسي" .. لقد كان ذلك من سنوات طبعا ولكن المزرعة ستعود على أساس جديد ...

قطعت حديثها وقد شردت بذهنها ثم قالت :

- أوه .. بالمناسبة اشكرك على الزهور .

تقوس حاجباه :

- أية زهور ؟

- أوه .. لقد ظننت ...

استدارت وتظاهرت أنها تبحث عن شيء بنظرها ثم قالت وهي تخفي ابتسامتها :

- سابحث عن راعي بقر يقطف الزهور .

- أيه .. حسنا .. ربما أعرف واحدا يفعل ذلك .

- أه .. حقا ؟

اتجهت نحو مخزن الغلال وهي تقود "لوسي" قال :

- من الواضح أن هذه المعلومة كلفتك شيئا ما .

ردت دون أن تلتفت وراءها .

- مستحيل . ولا فائدة .

###

في تلك الليلة أحست "ديبي" بشيء ما : إن لديها القدرة على العطاء ،

لأن "سوني" كان يعرف كيف يأخذ ماتعطيه له . بدا وكأنه يستجيب لكل حركة من صميم قلبه . انتهى بها الأمر إلى أن استغرقت في النوم وسط أفكارها .

استيقظت "ديبي" في وقت متأخر وأحست بالخوف عندما أدركت أن البيت خال إلا من "سوني" والذي كان لايزال نائما والابتسامة على شفتيه .

مرت الأيام بطيئة . إن الوقت أمامهما الآن ليقضياه معا وبمفردهما ويحكيان لبعضهما بعضا حكايات الماضي ويشاهدان التليفزيون وهما يأكلان الفشار ويتحدثان عن السياسة أو عن رواياتهم المفضلة .

كان "سوني" يحب أن يستيقظ مبكرا وعندما يذهب إلى حجرتها يظل وقتا طويلا يتامل وجهها ويحب تلك العاطفة أن يراها موجودة معه وكان يسوده شعور أنه لم يعرف غيرها ويفهمها .

كان قد اعترف لها بهذا الشعور وهو الذي لا يعرف الناس عنه سوى جزء ويجهلون البقية .

كان يظن نفسه بسيطا ولايمكن أن تعارضه "ديبي" في هذا . وهو يحب أن يشعر أن عمله الذي ليس سواه يمكن أن يغير العالم من حوله .

ذهب هو و"ديبي" في نزهة إلى المكان الذي غرس فيه "دستي" أول وتد في مزرعته وتخيلا كيف كان حال الحياة التي عاشها "دستي" في تلك الفترة وماهي الأحلام التي كان يحلم بها .

عندما دعاهما "بيرني" و"جيني" للعشاء عندهما ذهبا إلى هناك معا . أخذ "بيرني" وزوجته يستعيدان حكايات الماضي ولم يشعرا بالحرج أمام بعض التفاصيل التي أذهلت "سوني" و"ديبي" .

www.elromancia.com

تساءلت "ديبي" قبل هذه الأمسية عما إذا كان لـ"سوني بيرتون" و"ديبي ستون" مستقبل معا .

ولكن عندما لاحظت "بيرني" و"چيني" فهمت أن خلافاتهما يمكن أن تخدمهما بدلا من أن تبعدهما بعضا عن بعض ويمكن أن يكمل كل منهما الآخر . بل وصل بها الأمر أن اعتقدت أن هذه الخلافات ضرورية.

فحصت وجه "سوني" وهما في طريق العودة . وتاملت عينيه وشفتيه وذراعيه القويتين ووسطه الشديد وصدره العريض وأدركت أنه أصبح الآن رجلا .

ضبطها "سوني" مرتين وهي تتاملة وهما في الشاحنة ولكنه لم يقل شيئا . اكتفى بأن ضغط بدال السرعة ليصل إلى المزرعة بسرعة .

###

مساء اليوم التالي دخل "سوني" المطبخ الذي كان معبقا برائحة الدجاج المسلوق والبهارات اللذيذة بينما كانت "ديبي" تقوم بتقطيع اللحم - أنت رائعة هذا المساء ؟

كانت "ديبي" ترتدي مريلة مزينة بوحدات متكررة من الزهور فوق روب صيفي وردي فاتح . ردت عليه وهي تبتسم له :

- وأنت لاباس بك أيضا .. هل أنت جائع .

- إيه ! كم هو جميل أن أكون هنا معك .

فجاة سمعا صرير الباب الخلفي وهو يفتح ثم يغلق كانا قريبين من بعضهما بعضا لدرجة الالتصاق . ولكن "سوني" لم يهتم بمن يمكن أن يكون قد دخل . لم يعد لديه هو و"ديبي" أية أسرار يخفيانها على أي شخص . أدار رأسه نحو الباب ووجد أمامه آخر شخص يمكن أن

يتوقع رؤيته .

كان "توم" وقد بدا باسما وقوي العزم وقد زاد وزنه عشرة كيلو جرامات .. إنه "توم" عاد إلى البيت .

بدت العصبية على "سوني" وأدركت "ديبي" أنه حاول السيطرة على نفسه . أما "توم" نفسه فلم يتحرك وإنما اكتفى بمشاهدتهما . بدا أولا بـ"سوني" ثم بعد ذلك "ديبي" التي أحست باحمرار خديها فجاة .

كان "توم" أكبر قليلا من "سوني" واعرض منه في كتفيه .. إنه أحد أبناء "بيرتون" دون شك وكان أكثر جاذبية لو تجاهلنا التقطيبة على وجهه . قال :

أخيرا :

- "سوني" !

- "توم" !

كان صوت "سوني" متحشرجا .

قال "توم" :

- لقد أتيت لأرى أبي . لقد علمت وأنا في "فلوريدا" أن الثور نطحه . علمت ذلك عن طريق "سيمون بيرك" .

- إنه تحس الآن .

كان "سوني" مستندا على مقعد ويتحدث ببطء ويركز على كل كلمة :

- لقد كانت العملية دقيقة ولكنه استعاد قواه شيئا فشيئا . بل إنه بدأ يحس بالضيق والملل وقد اصطحبته "هالي" إلى البحيرة ولكنهما سيعودان إلى هنا بعد يوم أو اثنين . و"بن" غائب هو الآخر للاشتراك في "الروديو" في "دالاس" .

ألقى نظرة متسائلة نحو "ديبي" من وراء كتفه عما يمكن أن يقوله .

تابع "توم" نظراته ورقت مشاعره : وقال :

- صباح الخير يا "ديبي" . لم أكن أعلم أنك هنا .

كان عليها أن تبتسم له وسألها :

- كيف حالك ؟

- بخير جدا يا "توم" وأنا سعيدة ، لأنك عدت .

ابتسمت له ابتسامة حارة ولكنه استدار وكأنه على وشك الرحيل. وقال :

- هل يشغل اي شخص...؟

قطع كلامه وهو غير قادر على تكملة عبارته .

قال "سوني" :

- لست أدري الحالة التي عليها حجرتك يا "توم" ولكنها في انتظارك.

سألته "ديبي" :

- هل تريد أن تأكل شيئا يا "توم" ؟ لقد أعددت دجاجة محمرة .

أجاب بصوت رقيق :

- لا .. شكرا . سأبقى لحين عودة أبي وبعد ذلك سأرحل. أحست "ديبي" بحالة التوتر التي تجتاح "سوني" ورغبته الملحة في الكلام . اقتربت منه ووضعت يدا على ذراعه بينما اليد الأخرى أشارت لـ"توم" حتى يبقى. إن "سوني" لايمكن أن يترك الأمور كما هي . قال "سوني" لأخيه :

- ربما تساعدني في جمع الثيران أثناء وجودك هنا .

أجاب "توم" :

- موافق .

خرج بعد أن أغلق الباب خلفه .

###

نام "سوني" في تلك الليلة على الأريكة بحجرة "ديبي" تاركا بقية المنزل لـ"توم" . نام نوما غير مستقر وايقظها عدة مرات . سعدت "ديبي" بذلك في ألا تتركه فريسة أفكاره فيما لو نام في حجرته اعترف لها بصوت رقيق :

- كان "توم" يعرف كل شيء عندما لم أكن سوى صبي صغير وكان أبي يعمل دائما على أن أظل معه كظله ولم يشك "توم" من ذلك أبدا ولم يظهر أبدا الملل أو عدم الصبر مني . لقد علمني كيف أمتطي الجواد وكيف أستخدم الحبل والعب "البيسبول" . ولم يحدث أبدا أن تعاركنا إلا في الليلة التي انفصلنا أنا وأنت فيها بعد ذلك حاول أكثر من مرة أن يحدثني عنك ولكني لم أتح له أي فرصة .

قطع كلامه والتزم الصمت فترة طويلة . همست :

- هيا ! أكمل ...

- إنني أحس بالراحة .. أنت أكثر من رائعة .

###

ظهر "توم" وقت الإفطار . بدا مؤدبا مع "ديبي" ولكنه وجد صعوبة في الحديث مع "سوني" . وعندما انتهوا من الطعام نهضوا من أمام المائدة بحركة واحدة وذهب الأخوان معا إلى الإصطبلات . راقبتهما "ديبي" من النافذة وهما يسيران في الخارج جنبا إلى جنب . وحتى عن هذا البعد كانت تحس بالتوتر فيما بين الأخوين . على أية حال الأمر يرجع إليهما

www.elromancia.com

لتسوية الأمور كما سبق ان عقداها .

وصل "بن" في شاحنة "سوني" والقى بنفسه بين ذراعي اخيه "توم" القويتين الذي رفعه لأعلى وكانه لايزن سوى عشرة كيلو جرامات وليس تسعين .

نزع "بن" بعد ذلك قبعة اخيه ولبسها هو وبدا يرقص رقصة شعبية .

القت "ديبي" نظرة على "سوني" بينما عمال المزرعة يتجمعون حول الإخوة الثلاثة . تاثرت "ديبي" من المنظر اخذ "توم" قبعته من فوق رأس "بن" وحياه "بادي" بحرارة مع الآخرين ثم عاد الجميع إلى العمل .

عندما خرجت "ديبي" لتمرين "لوسي" بعد وجبة مابعد الظهر وجدت "توم" في مستودع الحصاد وهو يقوم بتنظيف حدوة الحصان . اومات براسها .

- يومك سعيد !

- إيه .. "ديبي" .

رفعت عينيها وسالها :

- هل يمكن ان اطلب منك خدمة ؟

- طبعا يا "توم" .

نظرت إليه في دهشة وركزت عليه عينيها .

- هل مضى وقت طويل منذ عدت لمقابلة "سوني" ؟

أحست بخديها يشتعلان خجلا فجاة . اخذت نفسا عميقا والقت نظرة على بطن "لوسي" .

- لا .. ليس من وقت بعيد .

- اتظنين انكما ستعودان للزواج مرة اخرى ؟

دارت فجاة ولكن قبل ان تنطق بكلمة قال :

- اسف . ليس .. لا ارغب .. إن الأمر لايخصني .

- إن ماحدث مضى من زمن بعيد يا "توم" وربما حدث ذلك في زمان آخر وحياة اخرى . لقد ارتكبت انا و"سوني" اخطاء . والأمور لم تكن حسنة ولا سيئة . كل ماهناك انني كنت صغيرة جدا لافهم متطلبات العلاقة بين اثنين . ولم اكن اعرف معنى كلمة الحل الوسط .

امسك "توم" بحافر آخر من الجواد واخذ يعتني به وقال :

- انا آسف بالنسبة لما حدث لابيك . لقد كنت احب "بيل ستون" كثيرا .

- إنني لا احاول ان افكر فيه كثيرا ، لانني اشتقت له .

- لقد ترك لك فرسا ممتازة .

استدارت براسها نحو "لوسي" .

- فعلا .. هل هي حقا جميلة جدا ؟

- إنني اتذكر "بيل" وهو يتحدث عنك ويقول : إنك ستتولين المزرعة.. وكان يحب ان يذكر كم كنت تحبين الجياد لدرجة تجعلك مشغولة بها .

وحدثني عما يمكنك ان تفعليه معه عندما تهبط رغبتك في العمل في المدينة .

- ماذا ؟

ارتجفت وقالت :

- ماذا قلت ؟

- إيه ...

رأها تشحب فجاة فسالها :

- هل انت بخير ؟

www.elromancia.com

- إنني .. ماذا قلت يا "توم" ؟

أحست بأن الأرض تميد من تحت قدميها . قال لها وهو يمسك بذراعها ويساعدها على الجلوس :

- تعالي هنا .. إنني لم أرغب أن أضعك في هذه الحالة.

لم تستطع أن تسترد انفاسها وسالته لاهثة :

- لقد قلت: إن أبي كان يرغب في أن يراني أعود إلى المزرعة .. حتى أستطيع أن أساعده ؟ هل أنت واثق بهذا يا "توم" ؟

ظلت عيناها مثبتتين على طرفي حذائها الموحل .

رد :

- نعم .

نظر إليها "توم" وهو مذهول :

- لست أفهم .. كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إنني لا أريد يا "ديبي" أن أثير أمرا يمكن أن يزعجك .

- أعرف .

رفعت عينيها فجاة نحوه وقالت :

- حدثني أيضا عما قاله ....

***

أثناء العشاء في المساء قص "توم" حكاية السنتين الماضيتين اللتين قضاهما . كان قد عمل في مشروع إنشاءات في "أورلاندو" ونجح فيها نجاحا باهرا. تامله "سوني" ووجهه خال من أي تعبير وهو يتساءل عن الرجل الذي هو أخوه وكيف أصبح .

لم تستطع "ديبي" أن تجلس معهما أمام المائدة ولو مرة واحدة .

وكذلك لم تستطع أن تبتلع شيئا .

كانت قد ذهبت إلى الصيدلية لشراء اختبار الحمل والذي كانت نتيجته إيجابية .

بينما تقوم بغسيل المواعين أمسكها "سوني" من ذراعها وسالها:

- لماذا لا تاكلين شيئا يا "ديبي" ؟

- لست جائعة هذا المساء .

إنها لم تستطع أن تكذب كذبة صغيرة .

عندما لاحظت نظرة "سوني" القلقة حاولت أن تبتسم . كانت تحس بنظراته تستقر عليها وهي تنهي غسيل المواعين وأدركت أنه لم تنطل عليه تلك الابتسامة .

لم يعد أمامها سوى رغبة واحدة وهي الذهاب لاستنشاق الهواء في مكان ما ولو لحظات .

قدمت لهما القهوة وأخلت المائدة بعد دقائق ثم زفرت زفرة طويلة وخلعت مريلتها وذهبت لعمل شيء في الخارج .

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

تابعت "ديبي" طريقها الذي أصبح مألوفا لديها والذي يؤدي فيما وراء العشب إلى البراري المجاورة وإلى تل صغير ليس بعيدا عن الغابة. عندما وصلت أعلى التل سقطت على ركبتيها ورفعت عينيها نحو النجوم ثم تركت نسيم الرياح الجنوبية تبرد عواطفها المؤلمة.

همست لنفسها:

- بابا! أوه يا بابا ! والآن ماذا أفعل ؟

لم تستطع أن تقول شيئا عن الحمل لـ"سوني" ليس قبل أن يعلن حبه لها ورغبته في عودتهما للحياة الزوجية . إنها لا تعرف إن كان يرغب في الأطفال . كل شيء أصبح مشوشا في تلك اللحظة.

سمعت "ديبي" صوتا خلفها ينادي . كان "سوني" قد اقترب وركع

بجوارها ثم قال في اضطراب بصوت بدا بعيدا على أسماع "ديبي" :

- عزيزتي !

أدارها لتواجهه ثم أخذ قلبه يدق بشدة عندما رأى عينيها والدموع تغطي خديها .

اعترفت بصوت مضطرب :

- إنني مشتاقة إلى أبي كثيرا وأريد منه أن يعود .

- كل شيء سيكون على مايرام يا عزيزتي .

ربت عليها يواسيها . كان يعلم أنها لم تحظ بعلاقة سعيدة مع أبيها وفكر في عائلته هو والحظ الذي ناله بشكل أو بآخر . همس وهو يربت على شعرها .

- ابكي ياعزيزتي ولا تمنعي نفسك واتركي نفسك على سجيتها وابكي ماعن لك البكاء وحتى يكف إحساسك بالألم .

لامت نفسها على ضعفها .. إن الأمر كله غريب أخرج "سوني" منديلا من جيبه وناولها إياه. قالت :

- لقد بللتك .

- هيا نعود الآن .

خفضت عينيها وقالت :

أعتقد أني أريد البقاء قليلا هنا :

- لا أستطيع أن اتركك هنا يا "ديبي" . إنه جنون !

أخذت تمرر يدها فوق العشب الطري وقالت بهدوء :

- لقد اعترف لي "توم" بان والدي كان يتحدث كثيرا عن..قطعت

www.elromancia.com

حديثها وابتلعت ريقها بصعوبة واكملت .... كان يامل ان اعود إلى المزرعة واديرها معه . التزم "سوني" الصمت . إنه لايرى اية مشكلة في كل ذلك إلى ان اكملت :

- إن ابي لم يقل لي اي شيء ابدا . لم يثر هذا الموضوع معي على الإطلاق . وهو الآن غير موجود هل فهمت ؟ إنني لم تتح لي ابدا الفرصة ان اسمعه يقول لي ذلك . يا للخسارة !

عضت شفتيها ورفعت عينيها إلى السماء .

- يا للرجل المسكين الطيب ! كان بإمكانه ان يحدثني عن كل ذلك انا وليس إلى "توم" .. اللعنة ...

تربع "سوني" في جلسته وهو يحاول دون جدوى ان يجد الكلام الذي يزيل عنها كربها . وكان الشيء الوحيد الذي يستطيع ان يفعله هو محاولة فهمها وان يظل بجوارها .

عندما اخذا طريق العودة بعد ذلك بمدة احاط كتفيها بذراعه بينما لفت "ديبي" بدورها ذراعها حول وسطه وسارا هكذا متحدين نحو مصير واحد ومعاناة واحدة وحب واحد .

###

عندما ظهر "بن" في اليوم التالي وقت الغداء كان يحمل بكل فخر الكاس الفضية التي نالها في "دالاس" كان الجميع قد سمع قصة انتصاره عدا "ديبي" التي قالت :

- اريد ان اسمع منك كل شيء .

كان "بن" في منتهى الفخر حتى إنه لم ينتبه إلى مزاح الرعاة الذين تكالبوا من كل مكان حول المائدة .

ركز على المباريات الاهم في المنافسة وتربع فوق مقعده وبدا راضيا عن نفسه تماما .

عندما رأت "ديبي" "سوني" و"توم" اعتقدت انها لمحت اول شرارة للصداقة الاخوية الصريحة . لقد التقت عيونهما عدة مرات رغما عنهما اثناء الوجبة . وكانا يضحكان من قلبيهما إلى مزاح "بادي" الذي لايقاوم حول هذه الكاس .

امتطيا معا الخيل بعد الظهر وكان من المستحيل الا تشاهدهما وهما يعملان معا بنشاط تحت اشعة الشمس الحارقة في "تكساس" وقد غطاهما الغبار والقاذورات .

استغلا فترة راحة ليجلس كل منهما بجوار الآخر فوق السور ويتبادلا الدخان . قال "سوني" فجاة :

- هل تقوم بضربي لو اخبرتك انني تاكدت من انه لم يكن هناك شيء بينك وبين "ديبي" ؟

صاح "توم" ردا على سؤاله بسؤال :

- لماذا تصدقني فقط اليوم ؟

- ولم لا ؟

تردد "سوني" لحظات ثم اضاف :

- هل تتذكر عندما ذهبت "الى جونسون" إلى كل الناس لتخبرهم انني اعتديت عليها وسببت لها الحمل ؟ لقد صدقتني عندما قلت لك : إن هذا الكلام كاذب . واعتقد انك كنت الوحيد الذي صدقني . وعندما قال "بومبر" لابيه: إنني الذي قدت الشاحنة في اليوم الذي وقعت فيه الحادثة. إنك لم تجد صعوبة ايضا في تصديقي . لقد كشفت انا

و"ديبي" أمورا كثيرة يا"توم" وتحدثنا كثيرا عما حدث لنا كلنا .

خفض عينيه . لقد افصح عن كل ماكان يكتمه في صدره .

- قبل أن استطيع أن اقابل "ديبي" مرة ثانية كنت ابحث عن احد يكون مسؤولا عن ذلك ولم يخطر على بالي ابدا أن ذلك المسؤول هو انا نفسي .

انا آسف ، لانني لم انصت إليك يا "توم" .

إن الأمر كله كان ببساطة فوق قدراتي .

قال "توم" بهدوء وعيناه مثبتتان على الأفق :

- إن "ديبي" لم ترغب في احد سواك يا"سوني" ولم اكن سوى من تشكو له المشاكل التي تواجهكما انتما الاثنان . لقد قالت لي: إنك تتصرف معها كما كان يفعل والدها معها قبلك بان تقوم بتسوية كل الحسابات واتخاذ كل القرارات دون اهتمام برايها. رد "سوني" وهو يتذكر سلوكه التملكي نحوها .

- لقد كنت اريد فقط العناية بها .

- اتعشم اليوم ان تدع لها مجالا تتحرك فيه بحرية يا "سوني" إنني اتعشم ذلك لكليكما .

هبط "توم" من فوق السور واخذ حبلا ثم دخل في حلبة الجياد تاركا "سوني" يفكر في كلامه. لم يتكلما طوال النهار بعد ذلك وعندما عادا إلى البيت ذهبا إلى الحمام ليغتسلا وخرجا منه معا .

فتح "سوني" اولا الثلاجة الكهربائية وناول "توم" علبة عصير دون كلمة .

قص "بن" وهو على المائدة كيف ان "بادي" و"روب" كانا يلاحقانه

طوال النهار كالحمل الثقيل على ظهره وهما يدعيان الاحتفال بالمنتصر.

وقال : إنهما ذهبا إلى حد أن دهنا سرجه بزيت النعناع.

في هذه اللحظة سمعوا طرقا على الباب . كان الساعي قد احضر تلغرافا لـ"سوني" فتحه وقرا بصوت عال :

(تزوجنا في المكسيك . سعداء كديوك وسط لجين الماء والبطالة اللذيذة . إلى اللقاء قريبا في البيت مع حبنا

"هالي و"دستي")

اخذ الإخوة الثلاثة يضحكون بصوت عال . قال "توم" في مرح :

- لابد انها اصطادته بالصنارة .

قال "سوني" :

- لا .. أراهن انها استخدمت حقنة مخدرة .

بدا الجد على وجه "بن" فجاة .

- إنكم تتحدثون عن امنا .. هل تدركون ذلك ؟

كتم الأخوان ضحكتهما الأخيرة واخذا يتبادلان اللكمات على ظهريهما . قال "توم" مقترحا :

- ما رايكما أن نذهب لاحتساء شراب منعش في مقهى "ماك جنتي" بعد العشاء ؟ يجب الاحتفال بذلك .

قال "بن" بعد أن عادت إليه ابتسامته .

- فكرة مدهشة .

سال "سوني" .

- هل انت موافقه يا "ديبي" ؟

- طبعا . إن هذا سيسعدنا جميعا .

www.elromancia.com

قال "سوني" وهو ينظر إلى "توم" نظرة تامر :

- في هذه الحالة هيا بنا .

كان "ماك" جنتي " قد وضع لوحة تحت لافتته تقول ممنوع الدخول لغير البالغين .. إذا أردت أن تتشاجر فلتفعل ذلك خارج المقهى .

كان مقهى "بوفيه" شديد الحيوية حتى مساء يوم الثلاثاء وكان هناك فرقة موسيقية صغيرة تعزف الحان "الكانزي" الشعبية وحلبة رقص في الركن وموائد "بلياردو" في ركن آخر وقد انتشرت الموائد في كل مكان . وكانت الساقيات يرتدين "الجينز" واحذية "بوت" و"تي شيرت" تحمل علامة :

عصير فواكه أماريللو" عند "ماك جنتي" .

جلسوا حول مائدة بجوار حلبة الرقص . طلب "بن" أربعة أكواب من عصير ولكن "ديبي" ربتت على ذراعه تنبهه وقالت :

- ثلاثة أكواب من عصير وواحد "سفن آب" .

وقد رفعوا أكوابهم بعد ذلك نخب سعادة "دستي" و"هالي" وسأل "توم" "ديبي" كيف وجدت الحياة في "هيوستون" ؟ بدأ "سوني" و"بن" مباراتهما في "البلياردو" بينما حكت "ديبي" لـ"توم" عن حياتها في الجامعة وعن مؤامرات الطلبة . كانت هذه أول مرة يشاهد فيها "سوني" شقيقه ينطلق في الضحك في مرح . وبعد انتهاء مباراة "البلياردو" عاد إلى المائدة . سأل "سوني" "ديبي" وهو يمد لها يده .

- أتحبين أن ترقصي ؟

أومأت "ديبي" برأسها موافقة ونهضت ثم صحبته إلى حلبة الرقص . سألها وهما يرقصان لحنا بطيئا .

- هل أنت سعيدة من أجل "دستي" و"هالي" ؟

- نعم .

- لقد حدث ذلك بعد وقت طويل . والأمر طيب هكذا لـ"دستي" ولـ"هالي" .

ألقى نظرة على "توم" و"بن" وهما يلعبان لعبة "الرست" .

عادا بعد الرقصة الثانية إلى المائدة وراقبهما "توم" وهما يجلسان في بهجة . سألهما وهو يبتسم .

- متى ستتزوجان أنتما الاثنان ؟

كان "سوني" على وشك أن يحدد بعض التفاصيل حول هذا الموضوع عندما التقت نظراته بنظرات "ديبي" التي قالت في تلك اللحظة :

- لقد حان الوقت للرحيل .. أليس كذلك ؟

يجب فعلا أن ألقي نظرة على "لوسي" .

تركوا المقهى بعد عدة دقائق وعند عودتهم إلى المزرعة ذهبت "ديبي" مباشرة إلى الإصطبلات .

كان "بادي" بجوار ركنها المخصص للولادة .

قال :

- هانت حضرت ! لقد فقدت الماء وبدأت تعطي لبنا .

كانت "ديبي" في قمة الإثارة والفرحة عندما ألقت نظرة من فوق كتف "بادي" لترى إن كان "سوني" موجودا هناك .. كان فعلا موجودا . قال :

بلهجة مطمئنة :

- يمكنك أن تستدعي "جوان" ولكن من الأفضل أن تستفيدي بسرسوب اللبن قبل أن يفسد أحست "ديبي" بالعصبية الشديدة . كان

لديها إحساس انها وسط الضباب . قال "سوني" .

- ساهتم بالسرسوب يا "بادي" وانت من ناحيتك عليك باستدعاء "جوان" من تليفون غرفة السروج .

جرت "ديبي" إلى غرفة السروج . رفعت السماعة لم تكن "جوان" في بيتها . قالت "ديبي" للمتحدث يا إلهي ! وهل تعرف اين هي في هذه اللحظة ؟

أوه .. حسنا جدا .. وشكرا .

وضعت السماعة . وفي هذه اللحظة دخل "سوني" حجرة السروج . بدت "ديبي" في حالة يرثى لها .

قالت له :

- إن "جوان" استدعيت لمزرعة "كارسون" أعلن "سوني" يطمئنها:

- لقد اخرجت انا و"بادي" إلى العالم عددا من الأمهار لاتستطيعين عدها . فلا تقلقي بالمرة يا ملاكي .. كل شيء مر على مايرام .

ارتمت بين ذراعيه وهي ترتجف من الانفعال وقالت وهي تشهق:

- لقد كان لدي إحساس سيئ يا "سوني" .. لم يكن لي حظ ابدا مع الأطفال .

أصابتها موجة من النحيب والنشيج. قال "سوني" :

- كل شيء سيكون بخير . اعدك بذلك . ثقي بي ياحبيبتي .

###

سمت المهر" الريح الواقفة "وقضت معظم وقت فراغها في الأسبوع الذي يلي الولادة في مراقبته وهو يعدو وسط تحويطة الخيول .

خطر على بالها وهي تفعل كل ذلك أن تضع يدها على بطنها وهي

تفكر في ابنها . ودعت أن يمر الأمر هذه المرة بسلام .

عاد "دستي" و"هالي" أخيرا إلى البيت وقبل ان يتاح لأي منهما أن يفتح الباب استقبلوا بعاصفة من التصفيق والصفير من كل الأنواع . كانت بشرة العروسين قد اصبحت برونزية وقد بدت عليهما السعادة وقد تشابكت ذراعاهما على عتبة الباب . صاح احدهم شيئا عن "هالي" العاصفة وبدا "دستي" يضحك في سعادة ثم أعلن :

- لقد قضيت ستة اشهر كالبهلوان لأغزو هذه المراة وكان يكفي أن اريها ركن الصيد الخاص بي . ضحك الجميع من صميم قلوبهم وصفقوا ثانية .

تقدم "توم" من والده في خجل وهو يبتسم .

فصاح "دستي" :

- ابني !

القى نظرة صريحة على "سوني" ثم هز راسه معبرا عن رضاه من أن يراهما يجتمعان معا مرة ثانية وقال لـ"توم" وهو يحتضنه بقوة .

- إنني سعيد لأن اراك عدت مرة ثانية إلى بيتك يا ابني !

احتفلوا بهذه المناسبة احتفالا رائعا كله ضحك ومرح وضجيج وصخب حتى ساعة العشاء .

اثناء العشاء لم تمل "هالي" من تكرار وقائع رحلتهما . بدا واضحا انها سعيدة لعودتها ولا تكف عن الإمساك بيد "دستي" أو مداعبته وهي تحكي عن وقائع واحداث ماحدث في المكسيك .

بينما "ديبي" تقوم بإخلاء المائدة أمسك "دستي" بذراعها فجاة وقال :

- أيها الأولاد .. لابد أن تقطعوا شوطا طويلا من الكفاح حتى تعثروا

على مثل هذه الفتنة .

تدخل "سوني" وهو ينزع "ديبي" من بين يديه .

- أوه .. لست أدري .. لقد قطعت شوطا طويلا ...

احمر وجه "ديبي" واحتجت قائلة :

- "سوني" !

ضحك الجميع في مرح وسال "توم" :

- متى حددتما موعد الزواج أنتما الاثنان ؟

سمعت "ديبي" صوت تكسير الاطباق الصيني على الأرضية قبل أن تنتبه إلى أنها تركتها من بين يديها . دار رأسها ولكن ذلك لم يمنعها من أن تجد طريق الخروج وهي تترنح .

###

بحث "سوني" عنها في كل مكان بالبيت ولكنه لم يعثر عليها . وانتهى الأمر بأن لمحها من خلال نافذة الحجرة الزرقاء .

كانت تقوم بالعوم في حمام السباحة . وصل إلى أسفل في الوقت الذي أغلقت على نفسها كبينة خلع الملابس . صاح :

- "ديبي" !

لم يتلق أي رد :

- "ديبي" ! من فضلك افتحي الباب . لابد أن نتكلم .

مرت دقيقة ثم انفتح باب الكبينة أخيرا . وقفت "ديبي" أمامه في ثياب السباحة الزرقاء وعيناها لازالتا مبللتين بالدموع . وهي تحاول أن تتحكم في تعبيرات وجهها . سألها :

- ما الذي حدث يا "ديبي" ؟

أجابت بصوت باهت :

- لاشيء .. أعتقد أن الوقت حان كي أعود إلى مزرعتي .. هذا كل ما هناك .

ابتلع "سوني" ريقه بصعوبة . إنه لايستطيع أن يفكر ولا أن يتحرك أي حركة . قال فجاة :

- ماذا ؟

- لابد من ذلك في الأيام المقبلة على أية حال .

- لست أفهم يا "ديبي" .

- وكيف يمكن أن تفهم يا "سوني" ؟ أنت في بيتك ولم يحاول أحد أن يشعرك بانك لست على مايرام وأنت تفعل ماتشاء . ولكني على العكس لم أنل هذه السعادة من قبل ولم تتح لي هذه الفرصة بعد وهو ما أتمناه من صميم قلبي .. أن أفعل ما أريد دون أن يفعله أحد بدلا مني . لقد تعودت على أن يقال لي دائما مايجب أن أفعله ومالايجب .

اليوم أمامي فرصة أن اثبت لنفسي وللآخرين أني قادرة على النجاح . لدي "لوسي" والمهر "باندولينو" الذي أمامه الفرصة للفوز بالجائزة . إنني مقتنعه بذلك . إن لدي مزرعتي التي ساعتني بها ومضى وقت طويل وأنا احلم بذلك .

- حسنا جدا ولكن دعيني أساعدك ولنقم بذلك معا .

- لا .. أريد أن أصل إلى ذلك بمفردي . إنني لا أريد أن أدين لأحد بالنجاح .

- لماذا ؟ ماذا تريدين أن تثبتي ؟

إن هذا حمق يا "ديبي" وانت في هذه الحالة والطفل !

www.elromancia.com

كان ثائرا لدرجة مخيفة .

تجمدت "ديبي" في مكانها .

- كيف .. كيف عرفت ؟

أجاب في هدوء :

- اتعتقدين انني لا أعرفك يا "ديبي" ؟ اتعتقدين انني لم الاحظ التغيرات التي حدثت لجسدك ؟

دست "ديبي" يديها فجاة بين كفيه وقالت في نفسها : إنه من الواضح انه يعرف . حاولت أن ترفع رأسها ثم قالت :

- إنني لست مستعدة لذلك .

- ماذا تظنين إذن يا "ديبي" ؟ هل ساظل انتظر للابد حتى تصبحي مستعدة ؟ إن الحب لاينجح بهذه الطريقة وانا لن انجح هكذا . إنك لاتستطيعين اللعب بي هكذا .

سالته :

- هل تعتقد انك لست مهما بالنسبة لي ؟

اتعتقد انني لا ارغب هذا الطفل مثلك ؟

ران عليهما الصمت الثقيل فترة طويلة . اقترب منها وامسك بيدها وجذبها نحوه وقال :

- انت تحبينني .. اعرف انك تحبينني واريد فقط ان اسمعك تقولينها .. قوليها يا "ديبي" .

- نعم .

- قوليها .

- انا .. احبك .

لمع وميض الانتصار في عينيه فلم تعد تستطيع ان تكتم مشاعرها :

- أوه يا "سوني" .. انت رائع وانا احبك واحس بالراحة والامان معك.

نظر إليها بإمعان وقد زاد عمق عينيه :

- تذكري دائما كيف كنت تحسين في هذه اللحظات بالذات يا "ديبي" وتذكري انني لم اكن ابدا سعيدا إلا معك . انا محتاج لك هنا بالقرب مني ومحتاج لابتسامتك . سنقيم اسرة انا وانت والطفل .

فكرت "ديبي" في نفسها انه اخيرا استسلم وباح لها بكلمات الحب التي انتظرتها طويلا . ولكن عليها أن تحذره قبل ان يفوت الأوان .

- ولكن ماذا لوساء حال هذا العمل ولم اكمله ؟ هل فكرت ايضا في هذا الاحتمال ؟

خفض عينيه وربت على خدها :

- مهما حدث يا "ديبي" فسنظل معا وللأبد .

أحست بأن قلبها يوشك على الانفجار ولكنها لم تكن قد انتهت بعد وقالت:

- إنني متمسكة بأن اعيش في مزرعتي يا "سوني" وهذا لن يغير شيئا مما بيننا . سنظل نقضي امسياتنا معا ولن اطلب منك ابدا نقودا ولكن لو ضبطتك مع امراة اخرى فلن اسامحك ابدا !

- انت يا زوجتي العزيزة يجب عليك أن تتعلمي المشاركة .. ليس مشاركتي وإنما المشاركة في امور اخرى .. الطفل واموالي ومزرعتك . نحن شريكان الآن فلا تنسي هذا . ساعيش هناك معك وساساعدك هناك كما ستساعدينني هنا وساحبك كل يوم يمر علينا . هل اتفقنا ؟

نظر في عينيها بعمق جديد فاجابته .

- اتفقنا .

www.elromancia.com

الخاتمة

- عليك الانتظار يا "ديبي" واصبري لحظات ، ولما مسح جبين الطبيبة بيده التي ارتدى بها قفازا طبيا وهي تقبض على يده بقوة .

- يجب أن تتحملي ، ففي المرة الأولى من الولادة ، تكون الأمور متعسرة إلى حد ما . كان وجهها مشوها من الألم .

قال "سوني" :

- ليس بعد يا "ديبي" ولكن كل شيء حسن جدا ، وتماسكي جيدا ، وكل شيء سيمر بسلام .

بينما الطبيبة تتحاور مع الممرضة تملك "ديبي" الغضب .

- يجب أن أنتهي من هذا العذاب ! أخبراني بما تفعله النساء من ملايين السنين ؟!

فتح "سوني" فمه ليقول شيئا ، ولكن الكلام لم يخرج ، بينما كانت "ديبي" تضغط على يده في قوة . وفي هذه اللحظة الهادئة :

- حسنا يا "ديبي" هيا بنا . الآن عليك الاستعداد للانتهاء من هذا العذاب .

ولكن في تلك اللحظة بدا أن "ديبي" لم تسمع شيئا ، وكان "سوني" هو صلتها الوحيدة بالحياة . فهم ذلك وابتسم وقال :

- حسنا يا حبيبتي .. إن الأمر أصبح قريبا جدا وعليك أن تتجلدي في صبر .

إن ابني سيصل واستطيع أن آخذه بين يدي هاتين.

همست - في ضعف - والألم باد على وجهها :

- ابق معي ، ولا تتركني لحظة واحدة .

ابتسم لها مشجعا إياها :

بعد دقائق جاء الطفل إلى العالم ، وكان "سوني" أول من أمسكه بين يديه . نفذ تعليمات الطبيبة ووضعه على بطن أمه ، ثم انفجر في البكاء، بينما تدلك "ديبي" شعره.

أحس "سوني" بالانفعال وهو يرى "ديبي" ترضع ابنهما. إنه يحس الآن بكل سعادة العالم . لم يكن هناك في ذهنه سوى أمر واحد صغير يريد أن يستوضحه.

- "ديبي" ؟

ابتسمت له بوجه مشرق فسألها :

- هل يمكن أن تشرحي لي شيئا ؟

ردت عليه وهي شاردة في النظر إلى طفلها :

- أي شيء تريد ؟

- من ضربك في تلك الليلة في مقهى "لون ستار" ؟

أحست "ديبي" بغصة في حلقها ، ولكنها كانت تعرف مدى حبه لها ، ومدى أهمية الحقيقة بالنسبة لـ"سوني" فعلت الشيء الذي اعتقدت أنه السليم .

سالته في جدية :

- هل أنت متمسك إلى هذا الحد بمعرفة الحقيقة ؟

- يا الله .. نعم أنا متمسك بمعرفتها .

- حسنا .

رفعت عينيها وأخذت نفسا عميقا ونظرت إليه بإمعان .

- في ذلك المساء تعثرت واصطدمت بمقعد وأنا أحاول أن أهرب معك قبل أن يفيق "هانك" .

- أنت .

طرفت عيناه :

- وكل ذلك الوقت جعلتني أعتقد انني ...

- أنت دائما من النوع الذي يطرح الكثير من الأسئلة يا راعي البقر.

نظرت إليه نظرة ماكرة وأحس بانه غبي .

قال وهو يبتسم لها :

- آه .. نعم ولكنك استطعت أن تخدعيني بمهارة أيتها المرأة الماكرة .

تمت

www.elrmancia.com